

من آن لآخر يأتى الزائرون من مختلف أقطار العالم الإسلامى يحملون ما استطاعوا من أموال وملابس ودواء لإخوانهم الأفغان، ترى شيخا يوزع المال على المرضى وشابا يحمل اللحم والأرز من معسكر لآخر - صورته طيبة للتكافل الإسلامى - على أن تشييد مشاريع غذائية أصبحت ضرورة ملحة وعلى الهيئات الإسلامية أن تتبنى مثل هذه المشروعات ويشعر كل منا بالحزن البالغ حينما يشاهد صبيًا صغيرًا يسأل المارة فى الشارع أو يحمل ورقة كتب فيها أنه يتيم بعد أن أستشهد أبوه . إلى متى يتجاهل المسلمون هؤلاء البؤساء؟ من يلام على ترك هؤلاء الصبية جوعى يسألون الناس . أن قليلا من مال المسلمين المترفين فى أنحاء الدنيا تحفظ كرامة إخوانهم من الأفغان وتحميمهم من ألم الجوع وذل السؤال . إن أعداد اليتامى والأرامل تزيد يوما بعد يوم ، ويزداد معها البؤس لآلاف الناس ، إن كل ساعة تمر تشهد تساقط العشرات من وطأة الفقر والمرض .

### الظروف المناخية :

من أبرز الأشياء التى تزيد معاناة المهاجرين سوء الأحوال المناخية فى مناطق الهجرة ، فالصيف شديد الحرارة والشتاء شديد البرودة . لا يمكن الاستغناء عن المراوح أو أجهزة التكييف فى الصيف وعن المدفأة فى الشتاء . لقد قدم المهاجرون من مناطق معتدلة المناخ فى أفغانستان ماثلة للبرودة فى الشمال ، وجزء محدود من الأراضى الأفغانية يتميز بالحرارة المرتفعة . فى بشاور بباكستان تسجل أعلى معدلات الحرارة فى العالم ، فستوى الأرض منخفض والرطوبة عالية . المعاناة من الحر يلتمسه جميع من يزور هذه الأماكن ، ومع موجات الحرارة العالية تكثر الوفيات من المهاجرين فهم لا يملكون ما يحميمهم من الحر ، لا يملكون أجهزة التكييف أو مراوح الكهرباء غير موجودة فى أكثر المعسكرات حتى الماء النظيف غير متوفر فى الصيف ، تشاهد مئات من الاطفال يلعبون ويسبحون فى مياه الترع هربا من شدة الحرارة . تعرف انقطاع التيار الكهربائى بالمستشفى حينما يبدأ صراخ الأطفال فجأة . الأمهات يحاولن التخفيف عنهم برشهم بالماء وبالتهوية

الأهلية الباكستانية تساعد المهاجرين فى مجالات أخرى مثل الجماعة الإسلامية ومن أنشطتها إدارة مستشفيات فى مدينة بشاور اهداء جراحين لعلاج المجاهدين وهى من أكبر المستشفيات العاملة لخدمة المجاهدين، ومستشفى لعلاج أمراض النساء، إلا أن هذه الجهود الأهلية يجب أن تكون أكثر من ذلك لتناسب حجم المشكلة الأفغانية. تتعرض باكستان لضغوط شيوعية كى تتخلى عن القضية الافغانية فدائما تغير الطائرات الشيوعية على معسكرات المهاجرين داخل الأراضى الباكستانية وأحيانا تشتبك طائرات البلدين معا، وفى صيف ١٩٨٦ أسقطت باكستان طائرة للشيوعيين قرب بلدة بارشمار الباكستانية. ويحاول الشيوعيون تدبير عمليات تخريب وقد رأيت آثار ذلك فى الطرق الباكستانية بالقرب من الحدود حيث نسف الشيوعيون عدداً من الكبارى الصغيرة على الطرق وكذلك انفجرت قنبلة بمكتب الخطوط الجوية الباكستانية فى بشاور وقطار فى محطة المدينة فى سنة ١٩٨٦. ودائما يقوم الشيوعيون بإثارة القلاقل داخل باكستان عن طريق دعم الشيوعيين الباكستانيين وتحريضهم على التظاهر وإثارة المشاكل حيث تعتبر باكستان القلعة الإسلامية الوحيدة فى وسط آسيا الآن بعد سقوط أفغانستان فى أيدي الشيوعيين ولا يخفى على أحد مطامع السوفييت فيها.

أقامت الحكومة الباكستانية هيئة للإشراف على شئون المهاجرين مقرها الرئيسى فى مدينة بشاور ويتبعها فرع فى مدينة كويتا الجنوبية ويتبع الهيئة مسئولون تدرج وظائفهم بحيث يوجد مشرفون فى المعسكرات وتسجل الهيئة أسماء المهاجرين لتوزيع المساعدات عليهم وحتى الآن فليس كل المهاجرين ولا سببا الذين وفدوا حديثا مسجلين لدى الحكومة الباكستانية. وأى هيئة أو منظمة أجنبية ترغب العمل فى مجال مساعدة المهاجرين يجب أن تحصل على تصريح من المسئول الباكستانى عن شئون اللاجئين ويسمى « Commisioner » وتعفى جميع المساعدات القادمة للمهاجرين من أغذية وأدوية وسيارات وغيرها من الجمارك الباكستانية وتنسق الحكومة الباكستانية مع قادة المنظمات الأفغانية فى مجالات متعددة وتتدخل أحيانا للتوفيق بينهم.

لا يحس الزائر للمدن الباكستانية التي يقيم بها الأفغان بالفرق بين الباكستانيين والأفغان فعاداتهم متقاربة وزيمهم متشابه عدا حرص الرجال من الأفغان على أطالة لحاهم وتمسك السيدات الأفغانيات أكثر بالحجاب الذي غالبا يغطي الجسد كله ولا توجد صعوبة في التفاهم بين الشعبين حيث يتكلم الباكستانيون في الشمال الغربي بلغة الباشتو مثل الأفغان وبعضهم أيضا يتحدث اللغة الفارسية التي تلى الباشتو في الانتشار بين الأفغان والمعاملات التجارية مستمرة بين الشعبين وتقبل الحكومة الباكستانية نسبة صغيرة من الطلاب الأفغان في مدارسها وجامعاتها. كما تقبل المرضى في مستشفياتها أيضا على أن يتكفلوا بإحضار الدواء وذلك يرجع أساسا لمشكلات باكستان الاقتصادية.

سمعت أحد القادة الأفغان يذكر أن الأفغان بباكستان لهم من المزايا أكثر من الباكستانيين أنفسهم فهم لهم حق التملك والبيع والشراء وكل شيء. إلا أن محاولات الشيوعيين في تكدير صفو تلك العلاقة الطيبة قد أثرت بعض الشيء، ففي صيف ١٩٨٥ منعت الحكومة الباكستانية المهاجرين من حمل السلاح داخل مدينة بشاور وفي عام ١٩٨٦ بعد التفجيرات التي قام بها الشيوعيون داخل باكستان اضطرت الشرطة الباكستانية إلى التأكد من هوية بعض المارة وخصوصا في الليل وخصوصا أن من يقوم بالأعمال التخريبية من الشيوعيين يتخفون بين المهاجرين وتضايق هذه الإجراءات الشباب الأفغانى في المدن وإن شاء الله تزول أسبابها عن قريب وتستمر الثقة بين الشعبين المسلمين ويكونوا يدا واحدة في مواجهة الاحاد والكفر ويحاول الشيوعيون بث الشائعات للوقية بين الشعبين ويدعون أن الحكومة الباكستانية تستغل المساعدات القادمة للمهاجرين وإن الاقتصاد الباكستاني استفاد من وجود المهاجرين والهيئات المعاونة لهم داخل باكستان ولكنى لا أعتقد ذلك فالضغوط التي تتعرض لها باكستان من جراء مساندتها للقضية الأفغانية تفوق بكثير أى نشاط اقتصادى تدخله الهيئات المعاونة للمهاجرين فى باكستان.

ويتعامل الباكستانيون بود ملحوظ مع الزائرين القادمين لمساعدة المهاجرين وخصوصا العرب والشعب الباكستاني مسلم وهادىء الطباع ولا يشعر أحد بالغرابة حينما يتعامل معه ويدخل الزائرون لمساعدة المهاجرين ويقيمون بباكستان ويتقلون داخلها بحرية .

### المهاجرون الأفغان بباكستان :

يعيش معظم المهاجرين الأفغان بباكستان التى تشترك مع أفغانستان فى الحدود الشرقية والجنوبية لأفغانستان التى تقرب من ألفى كيلو مترات وتتفاوت الظروف المعيشية للأفغان تبعا لعوامل كثيرة أهمها فرص العمل ومدة الإقامة بباكستان .

فبعض الأفغان قد استطاع أن يجد عملا لنفسه مثل الأطباء ، وبعض هؤلاء يسكن فى منازل متواضعة بالمدن الباكستانية أكثرها على أطراف المدينة وأحيانا يتجمع عدد منهم لاستئجار منزل واحد حتى يتمكنوا من دفع الإيجار اللازم من دخولهم المحدودة . وتشبه هذه المنازل إلى حد كبير تلك التى يبنيها الفلاحون فى الريف المصرى ، ويسكنها المحظوظون من الأفغان الذين يجدون عملا .

الغالبية الساحقة من المهاجرين يعيشون فى معسكرات بعضها فى الصحراء أو سفوح الجبال وبعضها بالقرب من المدن الباكستانية فى المعسكرات القديمة . أقام المهاجرون منازل جدرانها من الطين تعلو قليلا عن قمة الرجال ، أما المعسكرات الجديدة فأغلبها من الخيام التى يحيط بها حوائط قليلة الأرتفاع من الطين . الطرقات بين المنازل ضيقة ومتعرجة فى أكثر المعسكرات . لاتوجد مصادر صحية للهاء أو لتصريف الفضلات ويتم ذلك بإجتهادات شخصية فن المهاجرين من حفر بئرا للحصول على الماء أو أقام بيتا يأوى به أسرته .

أكثر المعسكرات نظاما هى قرية «بابى» التى كانت عاصمة لاتحاد المجاهدين شوارعها مستقيمة إلى حد ما ، أسواقها متجمعة فى مكان واحد ،

وجدران المنازل مرتفعه وإن كان أكثرها من الطين أو الطوب اللبن، المياه المستعملة فى النظافة تخرج من فتحات بالمنازل إلى مجارى ضحلة بالطرقات حيث لا يوجد نظام للصرف، قليل من الشوارع ممهدة فى القرية، أما الباقى فالعربات تسير بها بصعوبة بالغة وترتفع وتنخفض تبعاً لظروف المكان، أما الطرق المرصوفة فإنها لا توجد ولن توجد فى تلك المعسكرات.

معسكرات مثل معسكر «منده» على بعد حوالى ٣٠ كم من مدينة بشارو يقع فى سفح جبل، مساكن المهاجرين تتناثر على السطح يفصل بينها وديان حفرتها الأمطار، الطرق رملية مليئة بالحجارة، ولا يرى إلا جدران طينية قليلة الارتفاع يظهر وسطها خيام. بعض المنازل من الطوب اللبن نوافذها ضيقة وارتفاعها قليل. المساجد تتناثر بين المنازل جزء منها مغطى بفروع الأشجار والبوص والآخر غير مغطى. جزء صغير من أرض المسجد مغطى بحصر قديمة والآخر مغطى بالقش، لا يوجد أثاث يذكر داخل هذه البيوت فقد فر الناس بأنفسهم تاركين كل شىء خلفهم، ولا يوجد لديهم ما يحملون عليه أى شىء من داخل أفغانستان، نادراً ما تجد كرسيّاً واحداً داخل المعسكر، أحياناً يوجد سرير يصنع من قوائم وعوارض خشبية وشدت بينها حبال فى اتجاهات مختلفة تستعمل للجلوس والنوم. حقيقه لا يستطيع أى إنسان أن يَصور مقدار البؤس والشقاء لهؤلاء الناس.

يحكى البعض ما يسمونه بحكاية العصا والبطانية، يذكرون أن كثيراً من الأفغان لا يملك من متاع الدنيا إلا بطانية يرفعها على عصا ويجلس بجانبها لتحميه من الشمس طوال النهار يدور خلفها كلما دارت الشمس ويصلى عليها يفتريتها ويغطفى نفسه بالباقي منها مساءً ويتكرر ذلك كل يوم.

إذا تجولت بالمعسكرات تشاهد كثيراً من الاطفال يلعبون بالطرقات المتربة والعرق والغبار يغطى وجوههم وأجسامهم، كثيراً منهم حفاة والبعض ملابسه قديمة، ويتجمعون بسرعة حول أى زائر عليهم يحصلون منه على أى شىء أحضره معه. سألنا صبياً -لاحظنا أن وجهه مغطى بالغبار- كم مرة

تستحم؟ قال: ٤ مرات فى الشهر فى ترعة قريبة من المعسكر. فإن امكانيات النظافة قليلة، الماء قليل والصابون يصعب شراؤه لعدم وجود المال. نادرا ما تشاهد النساء خارج المنازل، والرجال يتجمعون فى المساجد والأسواق ورغم شدة الفقر إلا أن ملابسهم دائما نظيفة وهيئتهم طيبة، أصواتهم خفيفة نادرا ما تحدث منهم ضوضاء وتمر بالمساكن كأنها خالية من الناس من فرط الهدوء.

تتبع بعض معسكرات اللاجئين الإدارة الباكستانية لشئون اللاجئين وأغلب هذه المعسكرات قديمة وبعض المعسكرات يتبع منظمات الجهاد الأفغانى، والبعض الآخر لم يسجل لدى أى هيئة حتى الآن وهذه المعسكرات أكثر الجميع بؤسا إذ أن على أهلها أن يدبروا كل شىء من الغذاء والماء والأمن ويحدث أحيانا أن ينزل المهاجرون مكاناً ثم يفاجئوا أن الحصول على الماء فى هذا المكان غاية فى الصعوبة إذ عليهم أن يحفروا مائة متر فى الأرض حتى يجدوا الماء وأن لهم ذلك بإمكانياتهم المتواضعة، حيث لا يوجد آلات حفر أو ماكينات لرفع الماء. وفى الطرق أحيانا ترى جدران مهلمة كآثار لمهاجرين نزلوا بهذه الأمكنة لفترات ثم رحلوا عنها لاستحالة الإقامة بها.

يلعب المسجد دوراً أساسياً فى حياة المهاجرين فهم دائما يتجمعون بالمسجد لبحث شئونهم أو الاجتماع مع الزائرين، وهم إن طلبوا شىئا فأول ما يطلبون تحسين المسجد. مكبرات الصوت توجد فى بعض المساجد وفى المعسكرات التى تصلها الكهرباء، قد توجد مراوح فى السقوف إذ لاغنى عنها مع شدة الحرارة. يتوضأ الناس من صنادير مثبتة بوعاء أسمنتى يملؤونه بالماء من آبار حفرت بالمساجد، وإمام المسجد يسمى «مولوى» وله دور كبير فى قيادة وتنظيم المجتمع المحيط بمسجده، ويعاون الزائرين على إيصال الهبات للناس. الأفغان يجلون المساجد بصورة لافتة للنظر فهم لا يدخلون الأحذية بها ولا يحدثون أى ضوضاء داخلها ويحرصون على نظافتها بقدر ما يمكنهم، ويحيطون المصاحف برقائق متعددة من القماش ولا يضعونها على الأرض أبدا، ويتناولونها بحرص وتبجيل شديدين.

الأسواق داخل المعسكرات متواضعة للغاية الأصناف المعروضة بها قليلة أنواع الخضروات ليست طازجة دائما. البعض من الأفغان يبيع من محلات قامها بالمعسكرات أو أستأجرها بالمدن من الباكستانيين. تجارة الأخشاب هى عبارة عن سقيان وفروع الأشجار المهذبة. والحصائر من البوص كثيرة لانتشار بالقرب من المعسكرات حيث يستعملها المهاجرون فى إقامة منازلهم. لحوم الأغنام ضعف ثمن لحوم الماشية، والمعروض منها قليل إذ لا يوجد مشتررون لها لقلّة المال. نادرا ما يدخن الأفغان السجائر ولذلك فهى لا تباع بكثرة بينهم، ولكن البعض منهم خصوصا كبار السن يمشغون عشيا أخضر له رائحة غير طيبة يسمى «نسوار» ويحفظونه فى علب معدنية ويستتكر الكثير منهم استعماله ويخفى من يستعمله ذلك أيضا، ورغم كثرة المخدرات المعروفة فى مناطق الحدود، إلا أنه يلاحظ أن المهاجرين لا يتعاطون المخدرات ولا تمثل مشكلة بينهم حتى الآن.

أكثر الأفغان المقيمين بالمعسكرات ينتمون إلى مناطق واحدة داخل أفغانستان، وتعيش كل مجموعة من الأقارب فى منطقة واحدة بالمعسكر، ينزل عليهم أقاربهم الذين يفدون حديثا. ولذلك فالطباع متقاربة بين الناس داخل المعسكرات وقلما تحدث مشاكل بينهم. كما أن الجرائم الأخلاقية والسرقات نادرة الحدوث داخل المعسكرات، رغم عدم وجود أى قوى للأمن داخلها. فالذى يسير داخل المعسكرات لا يرى رجل البوليس أو مركز بوليس بها، واعتقد أن استتاب الأمور داخل المعسكرات يرجع إلى جودة طباع المهاجرين إذ يتوقع منهم جميعا أنهم خرجوا من بلادهم حفاظا على عقيدتهم ودينهم ويلاحظ أثناء توزيع أى من المعونات عليهم التى تكون غالبا قليلة عن الوفاء باحتياجاتهم عدم الاحتجاج من أى منهم أو سخطه لأنه لم يأخذ بينما أخذ الباقون جزءاً أكبر من المعونات، وينصرف فى هدوء.

لا يشعر الفرد الزائر للمعسكرات الافغانية بالغرابة بين المهاجرين رغم اختلاف الظروف التى يعيشونها عما أعتاد عليه أى زائر لهم، إلا أن الإنسان هنا يشعر كأنه فرد منهم يقرأ أفكارهم من تعبيرات وجوهم، يشاركهم الرأى

ويشاركونه كأن الجميع أسرة واحدة. تحس علامات الرضا بما قدره الله عليهم وتحس بالصلاة وقوة العزم رغم الفقر المحيط بهم من كل جانب. إلا إذا ذكر ما يتعرضون له أحيانا من المضايقات داخل المدن أو جفوة المسلمين لهم. أنهم لا يحاربون معركتهم وحدهم إنما يحاربون معركة الاسلام كله. إنهم الطليعة المجاهدة لأمة تمتد رقعتها من مشرق الأرض إلى مغربها.

مسئولية رعاية الأسرة داخل مجتمع المهاجرين تختلف كثيرا عن المجتمعات العادية فالمرأة الافغانية تقوم بدور أكبر في رعاية البيت نظرا لتغيب الرجال مدداً طويلة في الجهاد داخل أفغانستان تمتد شهوراً طويلة، وكذلك لكثرة عدد الأرامل نظرا لاستشهاد الآلاف من الأزواج طوال سنوات الجهاد، وقد تترك المريضة المستشفى رغم شدة مرضها لأن أطفالها أو بناتها بالبيت لا يجدون من يرعاهم.

كثيرا ما تجد رجلا واحدا منهم مسئولا عن رعاية عدد من الأسر، أسر اشقاؤه وشقيقاته التي استشهد رجالهم في الجهاد، ويوزع القليل من المال الذى يستطيع الحصول عليه على تلك الأسر العديدة ويتقبل ذلك فى صبر. بل إن كثيرا من الشبان والشابات يجدون أنفسهم مضطرين لإعالة أسرهم فهذه طيبة لا تعرف شيئا عن أبيها الذى اعتقله الشيوعيون فى كابول منذ سنوات، وتعيش مع أمها وأخيها فى بشاور. وآخر طالب بمعهد تعليم اللغة لا يعرف أيضا أبيه وعمه أميتان أم معتقلان فى سجون الشيوعيين. انه مجتمع فريد يجب أن ينتظر الإنسان طويلا حتى يحكم عليه ليتفهم الظروف التى يعيشها فى أرض الهجرة وكيف كان يعيش من قبل فى أرضه ووطنه. لقد وجد الجميع أنفسهم فجأة غرباء فقراء بلا عمل، منهم من كان بالغ الثراء ذو مكانه فى مجتمعه كالعلماء وكبار الضباط والأطباء والمهندسون، كل هؤلاء شاء القدر أن يمتحنهم بالجوع والخوف والفقر. كل ذلك مرة واحدة!

ما زال الأفغان داخل باكستان يتمسكون بكثير من عاداتهم وخصوصا الريفيون منهم، ومن هذه العادات ما يزيد صعوبة العيش لهم، فهم حريصون

ثالثا: أبحاث حول الآداب الشرقية والاسلامية

الشمس رجبية سنة ١٣٤٠ هـ في كتابها (٧) [تتعلق بـ] (٧)  
[١٣٦١ هـ] [٢٦١٠ هـ] [٢٦١٠ هـ] [٢٦١٠ هـ] [٢٦١٠ هـ]

رجب رجبية سنة ١٣٤٠ هـ: [تتعلق بـ] [تتعلق بـ] [تتعلق بـ] (٧)  
[تتعلق بـ]

على أن يتزوجوا من أقاربهم وقربياتهم فقط ، والمهور في أكثر مناطقهم باهظة ولا يتنازلون عن ذلك رغم قسوة الظروف التي يتعرضون لها ، وقليل من يقبل أن يزوج أبنته لغير الأفغان ، والمرأة الأفغانية لا تقبل على العمل كثيرا عدا المتعلمات منهن ، وفي المستشفيات الأفغانية في بشاور نجد أن أكثر العاملات من الباكستانيات وقلّة فقط من الأفغانيات رغم شدة حاجتهم للمال .

كتاب أبحاث حول الآداب الشرقية والإسلامية

٢٦١



(٦) الجلسة الخامسة [د. الصفصافي أحد المرسي يلقى كلمته  
وأ.د. محمد السعيد عبد المؤمن رئيس الجلسة وأ.د. مقرر الندوة].



(٧) الجلسة السادسة [التوصيات: أ.د. محمد السعيد جمال الدين رئيس  
الجلسة].

## بدر الضحى

الدكتور أمين عبد المجيد بدوى

• • •

قد لاح لى بدرُ الساء بضحوه  
عهدى ببدر التّم فضى السنّا  
يتسّم المياد من غُضنِ الرُبى  
وتزيّن الخدّ الأسيلُ بقطرة  
وافترت الشفتان عن رطبِ بدا  
ياطيبَ رباها ولطفَ عبرها  
أرادانها رقت رفيفَ فراشة  
وتأوّدت أعطافها فكأنّها  
خداها من نورٍ يشفّ صفاؤه  
وحديثها همسُ النسيم لطافة  
وتقاطرت همساتها من خاتم  
ياقوتٍ مبسّمها يضم لآلئاً  
خطرتُ فرف إزارها وكأتما  
ورنت فكدت أذوب من الحاظها  
مرّت مرورَ سحابة معطارة  
أحيا الشرى تقبيلُ موطنِ نعلها  
علّق الفؤاد بها هوى وصباة  
فجزرتّه وفلتُ غرب جماحه  
عشقُ الشيوخ غوايةً وضلالةً

فتحجّبت شمسُ النهار حياءَ  
مابالُ بدرى كالورود رُواء  
والمسك زادَ جبينه لألاء  
من عنبر تُغرى به إغراء  
للناظرين يتيمه وضاء  
وسموّها فوقَ البدور سناء  
وشّت جناحها روى تتراعى  
سردُ الرياضِ نضارةً ورُواء  
عن حمرة الورد الجميل بهاء  
وشجى تغريد الطيور حُداء  
عطرٍ يُعطر روضةً غناءً  
زادتُ به حُسنًا وزادَ صفاءً  
رف الربيعُ منمنما وشاءً  
وكأننى طفلٌ يذوب حياءَ  
رقتُ كما رق النسيم مساءً  
فتفتحت فيه الوردُ ثناءً  
وكأتما رجع الشبابُ وراءَ  
وقتلّت فيه رغبةً رعناءً  
ومهانةً تُزرى بهم إزراءً

للشيب هيبته وسنت وقاره  
صيغ الكمال مع الجمال فأشرق  
ياشمها لاتغربى عن أفقها  
حاشا أضيئه هوى وهباء  
شمس الأوثة حشمة ونقاء  
وليبق نورك للحياة ضياء

\* \* \*

## صورة مصر فى الأدب الفارسى

للأستاذ الدكتور/ بديع محمد جمعة رئيس قسم اللغة الفارسية وآدابها  
بكلية الآداب - جامعة عين شمس

كانت مصر، وما زالت، محط أنظار العالم شرقه وغربه، فمن وافد إليها بقصد العلم والمعرفة، ومن زائر بهدف السياحة، ومن تاجر يشد الرحال إليها لما فيها من سوق رائجة.. إلى غير ذلك من الأهداف التى دفعت الكثيرين من أهل الشرق والغرب كى ينجسوا إلى مصرنا العزيزة كلما واتهم الفرصة.

وكثير ممن زاروا مصر كانوا من الأدباء الذين سجلوا خواطرم نظما أونشراً وإذا أردنا أن نسجل كل ما كتب عن مصر فى الآداب العالمية، فسنحتاج إلى فريق عمل، وإلى سنوات عديدة حتى ننجز هذه المهمة.

كما أننا إذا حاولنا أن نسجل هذه الخواطر فى أدب أمة واحدة، فسنحتاج إلى عدة مجلدات، ولهذا فسنعصر حديثنا على فترة زمنية واحدة، وأعنى بها العصر الحديث فى الأدب الفارسى دون سواه من عصور سابقة، ودون الادعاء بأننا سنحصى كل ما كتب عن مصر فى هذا العصر، إذ ما أكثر الشعراء الإيرانيين والكتاب الذين زاروا مصر فى العصر الحديث وسجلوا خواطرم نظما ونثرا.

ونظرا لضيق الوقت فسكتفى بالإشارة الموجودة إلى بعض النماذج الأدبية التى سجل فيها شعراء إيران وكتابها انطباعاتهم وأحاسيسهم تجاه مصرنا الحبيبة.

\* \* \*

والآن لنبدأ بذكر بعض ما قاله الشعراء الإيرانيون في وصف مصر:  
تحدث أحد الشعراء عن احتفاء المصريين بالنيل، فقال قصيدة بعنوان  
[سلام عليك يا نيل مصر] (١) تجتزئ منها هذه الأبيات؛ وترجمتها:

أيها النيلُ

سلامٌ عليك

تنسابُ كى تحيا مصرُ

وإن تتأخرُ

فالحياةُ منساقَةٌ إلى الهاويةِ

وإن تغضبُ

فعلَى الوطنِ تحيقُ العاقبةُ

وإن تهيدزُ

فالأرضُ ومنَ عليها

يتهللون بشرًا، ويصخبون فرحاً

أنت المانحُ للخير الوفير

وأنت الخالقُ لكلِّ جميل

شبابك وأطفالك

يهللون لك ويتغنون بك

وها هم يعظّمونك

تعظيمهم الملوكة!!

ومصر الإسلامية كانت ومازالت ركنا أساسيا في اتحاد العالم الإسلامى،  
وإلى هذا المعنى أشار ملك الشعراء بهار وفى قطعة بعنوان [الاتحاد  
الإسلامى] (٢).

— الهندُ وتركيا ومصرُ وإيران

تونسُ وفاسُ والقوقازُ والأفغان

— هوياتهم متباينة، ودينتهم واحدٌ

أجسادهم شتى، وأرواحهم متفقة

(١) رستاخيز: عدد/ ٩٤٢ [الأحد ٢٨ خرداد، ٥ عام ٢٥٣٧ شاهنشاهى].

(٢) ملك الشعراء بهار: الديوان - ١، ص ١٥١.

- جميعهم أتباع دين محمد
- وكلهم حملة القرآن المجيد
- إن بكى مسلمٌ فى طنجة
- توَّجَّع من أجله مؤمنٌ فى بدخشان
- وهكذا يكون طريقُ العباد
- طريقَ الوحدةِ والاتحادِ !!

ومن الذين زاروا مصر وأخذوا بجمالها الشاعر سيد محمود فرخ، وقد عبر عن إعجابه فى قصيدة بعنوان [جمال مصر] اجتزى منها بضعة أبيات، وهذه ترجمتها:

### جمال مصر (١)

- كم أصبحتُ بعشقٍ مصرَ مفتوناً
- وكم قضيتُ على هذا الحالى عمراً مديداً
- سلكتُ هذا الطريقَ لا تأثراً بالأساطير والتاريخ وحدهما
- بل لما لها من مكانةٍ كذلك فى كلام الله
- لقد ذكر سعدى مصرَ بالخير
- كما أكثرَ حافظٌ من الحديث عن جمالِ مصر
- مصرُ فى خاطري، إذ هى موطنُ الصفاء والجمال
- وهذه الساحةُ لها فى قلبي كلُّ إعزاز وإجلال
- كلُّ مكان زرتُه بالحسن مقسمٌ
- وكل شئٍ فيها يأسرُ الأبواب والأفهام
- اكتظت المدينة والأسواقُ بالمشتريين والبضاعة المنتقاة
- وكل من امتلك الدرهم والدينار، اشترى ماتمناه
- ولكن لم يستطع أحدٌ أن يشتري قلب يوسف بلفافةٍ من خيط
- فياربِّ! كم هذه المدينة الخالدة جميلةً جمال زليخا!!

(١) سيد محمود فرخ، نقل عن تذكرة شعراء معاصر إيران لسيد عبد الحميد خلخالى ح ١، جاب أول ١٣٣٣ بؤش ص ١٣٩ - ٣٢٠.

إذا حاولنا أن نتتبع ما جاء عن مصر في الشعر الحديث، فسيطول بنا الحديث، لذا أكتفى بذكر هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر، ولننتقل الآن إلى مجال النثر، ولاشك أن ما كتب فيه يفوق ما كتب في مجال النظم، حيث الغلبة في الأدب الحديث أصبحت معقودة للنثر بعد أن ظلت هذه الغلبة للشعر طوال العصور الأدبية السابقة.

ونظرا لكثرة ما كتب عن مصر نثرا فساكتفى بذكر مثالين فقط، بل ساكتفى بذكر مقتطفات من هذين المثالين، وقد آثرت إختيارهما لأنه كلا منها يمثل حقبة زمنية مختلفة، حيث يمثل المثال الأول مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين، بينما يصور الثاني مصر في النصف الثاني من هذا القرن. أخترتها لأن الأول يمثل نظرة الإعزاز والاكبار التي كان الإيرانيون وغيرهم ينظرون بها إلى مصر في النصف الأول من هذا القرن كما سبق أن ذكرت، بينما يصور الثاني نظرة إيران النفط وغيرها من البلاد النفطية إلى مصر ما بعد حرب الثالث والسبعين، تلك الحرب التي خاضتها مصر لتجنى البلاد النفطية ثمارها، وتنعكس هذه الثمار تظاولا على مصر وشعبها.

والآن لننتقل إلى العمل الأول منها وهو؛ صورة مصر في كتاب:  
سياحت ناهة إبراهيم بيك تأليف: حاجي زين العابدين المراغي

وهو كتاب يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة يحكى فيها المؤلف رحلات إبراهيم بيك الذي وصفه بأنه ابن تاجر كبير بآذربايجان، وقد وفد والده إلى مصر في أواخر القرن الماضي بغرض التجارة، ونتيجة لاتساع تجارته اتخذ من مدينة القاهرة تلك المدينة المغبوة من البلاد الإسلامية مقرا له، وجعلها دار إقامة بعد أن كانت دار رحيل.

وإبراهيم بيك هذا - وهو في الحقيقة المؤلف نفسه - رغم إقامته في مصر، كان شديد التعلق بوطنه الأم إيران، بل كان شديد التعصب لكل ما هو إيراني، وعلى سبيل المثال لم ينس ما فعله الاسكندر بإيران عندما

غزاها وخرّب مدنها وأطفأ نارها، ولهذا فإنه لم يقبل في مجلداته الثلاثة أن ينطق باسم «الإسكندرية» وذلك لنسبتها إلى الإسكندر، وإذا اضطر لذكرها، أشار إليها بقوله: ميناء البر المصرى!

ولكن نتيجة لتعلقه الشديد بإيران وتعصبه لها، فقد كان حريصا فى كتابه سياحته الذى وصف فيه إيران وتركيا والقوقاز، كان حريصا على عقد مقارنات بين ما رآه من إيجابيات فى مصر، وبين ما فى إيران من سلبيات، راجيا من مواطنيه العمل على تلافى هذه السلبيات والتشبه بالمصريين فى تطوير بلادهم وتجميلها.

ونظرا لضيق الوقت، فإننى سأكتفى بذكر أمثلة محدودة من الجزء الأول وحده، ومما قاله فى هذا الشأن:

وصف الكاتب حمامات إيران وماتسم به عفونة ومياه آسنة، ثم انتقل إلى وصف حمامات مصر، حيث قال: أما حمامات مصر فالمياه محفوظة وبعيده عن كل تلوث حيث تنساب من الصنابير، وهكذا تتدفق المياه الباردة وكذلك الساخنة من الصنابير غاية فى الصفاء والنقاء، تنساب من جانب حيث يستحم المصرى، بينما تندفع المياه المستخدمة من جانب آخر.

وفى مقارنة بين ما يتعلمه المصرى فى المدرسة وما يتعلمه الإيراني فى الكتاب، يقول الكاتب:

لقد زار إبراهيم بيك أحد الكتاتيب فى مدينة قزوین الإيرانية، وسأل الشيخ عما يتم تدريسه للتلاميذ، فأخبره الشيخ بأنهم يتعلمون الألف باء وجزء عم وأجزاء أخرى من القرآن الكريم، أما الكبار فيدرسون الكلكستان والبوستان وأشعار حافظ وماشابه ذلك من أشعار.. ثم سأله الشيخ عما يدرسه الطلاب فى مصر، فقال له إبراهيم بيك: إنهم يدرسون إلى جانب ما ذكرت علوما حديثة كالجغرافيا والهندسة والحساب وغيرها من العلوم الحديثة..

وإذا انتقلنا إلى وسائل المواصلات، نجد الكاتب يتحسر على انعدام السكك الحديدية فى إيران تقريبا، حيث لم تكن بها فى ذلك الوقت إلا مسافة سبعة أميال فقط وهى المسافة التى تربط بين مدينة طهران ومزار

الشاه عبد العظيم بضاحية الرى القديمة جنوبي طهران ، وقد تحسر لأنه قطع المسافة من مشهد إلى طهران على حد قوله فى ستة وثلاثين يوما . فقال : لو أن هذه المسافة قطعت بالسكك الحديدية كما هو الحال فى مصر لما استغرقت الرحلة أكثر من ثلاثة أيام ، كما أنها ستكون رحلة غاية فى الراحة ، ولكن واحسرتاه فإن الإيرانيين قد حرّموا من هذه النعمة الكبرى التى ينعم بها المصريون !! .

أما إذا انتقلنا إلى المساجد ، فإن إبراهيم بيك قد هاله تلك الحالة الرثة التى وجد عليها المساجد فى إيران ، وتمنى أن تحظى تلك الأماكن المقدسة بالاحترام والنظافة ، كما هو الحال فى مصر ، ومما قاله :

أما ما رأيناه من مساجد فى مصر فقد فرشت بالبسط الغالية ، كما تفوح منها الروائح العطرة . وبها عدد كبير من المؤذنين والخدم ، وفى أوقات الصلوات الخمس ترتفع أصوات المؤذنين من جميع المساجد بأذان الإسلام . أما هنا فى إيران فكيف نستبيح لأنفسنا أن نسمى هذه الأماكن مساجد ودور عبادة ؟ إننى لا أعرف لماذا أصاب سوء الحظ هذه الأمة الإيرانية حيث أصيب جميع المواطنين بالعمى والصمم ؟ وإذا افترضنا أن معظم أفراد الأمة من العوام والجهلاء ؛ أفلم ير علماؤنا وساداتنا هذا الوضع المزرى ؟ ألا يعرفون معنى المسجد فى الإسلام ؟ ثم ما أقل صلاة الجماعة فى مساجدنا ، بينما تكثرت صلاة الجماعة فى مساجد مصر كلها . أما هنا فقد وقف كل فرد يصلى بمفرده ، وقد وضع بعضهم مناديلهم كى يسجدوا عليها عوضا عن الفرش الممزق !! .

وأخيرا يقارن الكاتب بما ينعم به المصرى والأجنبى على أرض مصر من حرية فى القول والفعل ، حرية لا ينعم بها الإيراني فى وطنه ، فقد سافر إبراهيم بيك إلى إيران وطالت رحلته ، مما جعل أقرانه من الإيرانيين فى مصر يجزعون لتغيبه خوفا من أن يكون قد اعتقل أو أصابه مكروه ، ومما جاء فى خطابهم الذى أرسلوه إليه يطالبونه فيه بالعودة ، ما يلى :

«.... كم نحن فى لهفة عليكم .. لقد بدأ جميع أصدقائكم بمصر يشعرون بالضيق والخوف من طول سياحتكم .. لقد كنتم بمصر تنعمون

بالمكانة العظمى بما تتمتعون به من حرية فى القول والحركة، ولكن هذا الأمر لا يتفق والأوضاع فى إيران، لذا فإن الأصدقاء يخشون أن تتعرضوا لأزمات جسام بسبب ما عهد عنكم من صراحة وجرأة فى الكلمة...».

وبعد أن يتحدث الكاتب عن الحرية والعدل فى مصر، نراه يوجه نصحه إلى حكام إيران المتسمين بالظلم والجبروت، وذلك فى قصيدة أذكر ترجمة لبضعة أبيات منها:

- لقد أنعم ملك السماء على الملك بالعدل حتى يعمر المملكة بالإنصاف والحق.
- وإن لم ينعم ملك الأرض على شعبه بالعدل فسرعان ما يقتص منه ملك السماء.
- فأحسن — أيها الملك — الإصغاء إلى صيحة العدل حتى لا تجد نفسك الغداة فى حاجة إلى صيحة الاستغاثة.
- إن كل ما شيده الأنبياء وأقاموا صروحه قد شيده على أسس من العدل وأعمدة من الإنصاف.



هذه هى الصورة النثرية الأولى التى تنبض بالإشراق، والتى كانت مصرنا العزيزة فيها على حد قول الكاتب مغبوبة من البلاد الإسلامية. فهل كانت الصورة الثانية على غرارها وبخاصة أنها كتبت فى فترة كانت العلاقات الإيرانية المصرية فى أوج ازدهارها وذلك فى عام ١٩٧٨، أيام أن كانت الوفود رائحة غادية من المبلدين قبل سقوط الشاه محمد رضا بهلوى. كما نحب أن ننوه بأن كاتب الصورة الثانية قد زار مصر مرات ومرات، والتقى فيها بالمسؤولين عن جميع المراكز الثقافية وبخاصة فى الجامعات، فقد كان الكاتب يشغل منصب نائب رئيس مؤسسة بنياد فرهنگ ايران، إنه السيد سعيد سرجانى الذى يعرفه جميع العاملين بمجمل الدراسات الفارسية فى

مصر، والذين أحسنوا وفادته، فكان رده على هذا الكرم مقالة يختلط فيها  
السم بالشهد كما يقولون؛ فإذا قال في وصف مصر؟<sup>(١)</sup>

بدأ الكاتب مقاله بقوله:

«إن الكلمات في كل زمان لا تكون ذات دلالة واحدة من حيث  
قيمتها المعنوية، وبعدها العاطفي، كما لا يكون لها مفهوم واحد وعبر بذاته  
في نظر جميع الناس. وكلمة مصر لها كذلك في أذهان ثلاثة وأربعين مليون  
إيراني مفاهيم عديدة، وغالبا ما تكون متفاوتة. فهي في رأى عامة الناس  
وطن يقع في شمال إفريقية، وفي ذهن السياسيين أرض فاروق وناصر  
والسادات، وفي خاطر المؤرخين ديار الفراعنة والفاطميين والمماليك، وفي  
مذاق رجال الدين أرض وادي النيل ومهد موسى. أما في نظر من لهم  
معرفة ولو محدودة بالأدب الفارسي وحضارته، فإنها تعنى شيئا أكبر من كل  
ذلك وأعظم بكثير!»

بعد هذه المقدمة الوردية، يقول الكاتب:

«وبعد هذه المقدمة أرجو ألا تعجب أيها القارئ إن كانت ملاحظاتي  
ستبدأ بشرح السوانح غير السارة» ولكنه قبل أن يبدأ في ذكر هذه السوانح  
يستدرك قائلا: «.. ولكنني في النهاية لست غريبا عن مصر، إن علاقتي  
بهذه الديار وبشعبها ليست وليدة اليوم، بل إنها قديمة قديمة، حتى أنني أعتبر  
نفسى شريكا لهم في أفراحهم وأحزانهم، فالإيراني ليس غريبا في مصر،  
وكذلك المصري في إيران.. وبناء على ما بيننا وبين المصريين من أوجه شبه  
عديدة أبدأ بسررد ملاحظاتي عن مصر والمصريين:

هناك مقولة عربية معروفة لدى اللغويين تقول: (هذه كلمة أجنبية فافعل  
بها ماشئت) أى أن العرب يحاولون نطق الكلمات الأجنبية الوافدة على  
قاموسهم العربي بطريقتهم الخاصة دون الالتزام بنطقها في لغتها الأصلية،  
وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل تعداه إلى مقولة أخرى في مصر رفعوها

(١) سعيد سرجاني: أرض مصر الباعثة للطرب والهجة، مجلة بغا العدد رقم ٣٥٨ رجب  
١٩٧٨، (تيرماه ٢٥٣٧) السنة الحادية والثلاثون (العدد الرابع) ص ٢٣١ وما بعدها.

شعارا لهم ، وهو: (هذا سائح أجنبي فافعل به ماشئت)، وبناء على هذا الشعار يتعاملون مع السائح الأجنبي على المستويين الشعبي والرسمى؛ والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

إيجار «التاكسى» فى مدينة القاهرة يتم نظير «تعريفة» معلومة لكل مصرى، أما إذا وضع مسافر أجنبى قدمه فى «تاكسى» فأول شىء يفعله السائق هو ألا يشغل العداد، وعلى هذا إذا كانت المسافة تكلف المصرى خمسة وعشرين قرشا، فإنه يطالب السائح بمائة قرش على الأقل.

وبالمناسبة فإن راتب الجامعى الذى درس ستة عشر عاما لا يزيد عن الخمسين جنيها فى الشهر بينما يتجاوز دخل سائق التاكسى العشرين جنيها فى اليوم الواحد، ولاشك أن هذا سيقلب الأوضاع الاجتماعية رأسا على عقب، وأول نتيجة لذلك اندفاع السائقين وأمثالهم نحو المخدرات والعادات الذميمة مما يسبب الكوارث الاجتماعية للمجتمع والحكومة على السواء، حيث لا يوجد شيطان يدفع الآدمى إلى الفساد والشرور أكثر من دخل يأتيه دون وجه حق!!

وصورة أخرى لابتزاز الأجنبى شاهدها فى محل حلقة، فقد ذهبت لأقص شعرى، فرأيت وأنا جالس على الكرسي أحد المصريين يحاسب الحلاق، حيث أعطاه مبلغ خمسة وعشرين قرشا، فقال له صاحب المحل: مع السلامة وودعه ببسمة عريضة. ولما كنت أعرف القوانين العرفية للمصريين، فقد فكرت فى أن أكون كريما غاية الكرم، فدفعت لصاحب المحل بعد أن قص شعرى مبلغ مائة قرش، وتحركت على مهل آملاً أن يودعنى كما ودع المصرى من قبل، ولحن صوته المرتفع اوقفنى حيث طالبنى بمبلغ مائة قرش أخرى؛ وهنا وقفت مشدوها، ولكننى دفعت صاغراً!!

وصورة ثالثة ساقها الكاتب ليبرز سليات مصر، فقد قال: ذهبت إلى الأسكندرية وأستأجرت «كايينة» كى أستريح فيها ساعة، وسألت صاحبها قبل استئجارها عن الثمن، ولكنه ما أن عرف أننى إيرانى حتى قال: ماقيمة للنقود فيما بيننا، إن كل شىء فداء للصدىق! ولكننى بعد أن كررت

السؤال طلب منى مبلغ خمسة عشر جنيها، فقبلت وأعطيته مبلغ خمسة جنيهات مقدما، وأظهر الرجل غاية اللطف والحفاوة، ثم أشعل السخان وأحضر منشفة وصابونة. ومن فرط تعبى ألقى بجسدى على السرير، وبعد ساعة استيقظت من نومي، فلم أجد أثرا للماء الساخن ولا للمنشفة والصابونة. ثم نزلت أبحث عن صاحب الكابينة، فإذا برفيق سفرى يقول لى: عندما استسلمت إلى النوم طالبنى بأجرة مقدارها عشرون جنيها، أخذها وانصرف!! فتملكتنى الحيرة والضيق من هذا التدليس والسرقة، وعزمت على أن أشكوه إلى الشرطة حتى ولو كلفنى ذلك مائة جنيهه كى استعيد الخمسة والعشرين جنيها، ولكن أحد المصريين نصحنى نصيحة خالصة ألقى الماء البارد على نار غضبى، حيث قال: إن الدولة لا تهتم بمثل هذه المسائل ولن تنجنى من وراء ما تزعم عمله مع الشرطة غير إضاعة الوقت وإثارة الأعصاب!!

وعلى الجانب الرسمى نجد هذا الابتزاز كذلك، فالمتحف المصرى، وهو أحد المراكز الهامة التى يؤمها الأجانب فى مصر، وتديره الدولة وجميع العاملين فيه من موظفى الحكومة، فإنك ستجد أن رسم الدخول إليه له سعران، عشرة قروش للمصرى وخمسة وثمانون قرشا للأجنبى، وقد زرتة خمس مرات أوستأ، وفى كل مرة يثير انتباهى بائع التذاكر الذى لا يرد إلى أى أجنبى المبلغ المتبقى من الجنيه وهو خمسة عشر قرشا. وإذا وقفت أمامه كى تسترد باقى نقودك، فإذا به يقول لك: اذهب واحضر «فكّة»، وبعد ذلك اشتر التذكرة!!

والأغرب من هذا والأكثر إثارة للدهشة لدى السائح الأجنبى، نظام تحويل العملة فى مصر، حيث جعلت الدولة نظامين: التحويل الرسمى وهو المفروض على السياح حيث يعادل الدولار سبعين قرشا بينما هناك السعر التشجيعى للتجار والمستثمرين وفيه يعادل الدولار مائة وثلاثين قرشا: فكيف يكون هذا الابتزاز الحكومى للسياح؟

ثم يعرج الكاتب إلى مطار القاهرة ويصف المعاملة السيئة التى عومل بها من موظفى شركات الطيران ومن مندوبى البنوك فى ساحة المطار، تصويرا ينفر أى سائح من السفر إلى مصر، لدرجة أنه ادعى إلقاء مامعه من كتب

فى سلة المهملات بعد أن تعرض لمضايقات كثيرة منعتة من أخذ الكتب معه إلى طهران (١).

وننتقل إلى آخر المطاف فى مقالة الذى خلط فيه الشهد بالسم الزعاف، فنحن جميعا نعرف أن اسم بولاق يرتبط فى أذان المثقفين فى العالم الإسلامى كله بمطبعها الشهيرة، فإذا قال عن بولاق:

عند سفرى إلى القاهرة طلب منى أن أحمل رسالة وهدية إلى أسرة تعيش فى بولاق، وبعد أن وصلت إلى القاهرة أخذت سيارة أجرة من الفندق كى أتوجه إلى العنوان المذكور ببولاق، وبعد أن اجتزنا شارعاً أوشارعين ممهدين وواسعين نسبياً، بدأنا ندخل إلى الجزء الذى يسكنه فقراء القاهرة حيث الحارات والأزقة الغاصة بالنسوة الجالسات بلاعمل، وبعربات الكارو، وعربات الباعة الجائلين، وأرتال السيارات البالية المحطمة، أضف إلى ذلك انعدام النظام وتفشى القذارة التى لاتطاق..

وبعد برهة توقفت السيارة، حيث ضاقت الأزقة ولم يعد فى مقدور السائق مواصلة السير، فتوقف وقال: هذه هى بولاق، تفضل! فنزلت وسرت على الأقدام والرسالة فى يدى ولفافة الهدية تحت إبطى. كانت الأزقة مزدحمة، والهواء عفنا وأسراب الذباب لاتطاق، وقد أتعبنى أن الأزقة لاتوجد عليها لوحات تحدد أساءها، كما أن البيوت لاتوجد عليها أرقام تهدى السائل إلى العنوان الذى يقصده. وعلى الرغم من كل هذه الصعاب فقد ظللت تائها بين الأزقة باحثاً عن العنوان حتى اهتديت إليه بعد ثلاث ساعات من البحث والمعاناة!

وبعد كل هذه الصور السلبية التى أوردتها ختم مقالة قائلاً:  
كم تأملت وسألت نفسى؛ أهذه القاهرة تلك التى كانت عروس الشرق منذ أربعين عاماً؟ وأهذه بولاق التى كانت ذات يوم المركز الثقافى فى العالم العربى كله؟ أهذا هو وادى النيل صاحب الخير والبركة والذى كان

(١) نفس المقالة ص ٢٣٦.

ذات يوم موضع حسد القريب والبعيد من حيث ازدهار زراعته وعظمة  
اقتصاده؟

• • •

هذه الصورة كتبها محب لمصر - كما يدعى كاتبها - كتبها اعترافا بجميل  
كل العاملين في المؤسسات الثقافية وبخاصة في الجامعات، وذلك بعد أن  
أكرموا وفادته، صورة تجعل كل من يقرأها يجفل هاربا، ولا يفكر في زيارة  
مصر، قد تكون بعض هذه السلبيات موجودة في القاهرة ولكن هناك  
إيجابيات كثيرة لم تحظ منه بكلمة واحدة، ثم لكل وطن إيجابياته وسلبياته،  
والمنصف من يبرز هذا وذاك، ولكننا نقول أن السيد/ السعيد السرجاني  
يمثل بعض النفطيين الذين تناسوا ماضي بلادهم كما تناسوا بأن ماجنوه من  
ارتفاع لأسعار النفط جاء نتيجة لتضحيات المصريين بدمائهم في حرب  
الثالث والسبعين.

وإذا تجاوزنا هذه الصورة المنفرة، فالحق يقال بأن معظم الإيرانيين قد  
أنصفوا مصر في أشعارهم وكتاباتهم، ولهذا جاءت صورة مصر في الأدب  
الفارسي الحديث صورة مشرقة في معظم تفاصيلها.

## انتشار اللغة الفارسية في آسيا المركزية

الأستاذ الدكتور/ عبد السلام عبد العزيز

كانت منطقة آسيا المركزية تعد من المناطق الساسانية المحلية أو الملحقة بالدولة الساسانية فكانت ثقافتها إيرانية ساسانية خالصة، ومع ذلك أفادت الدراسات الحديثة نتيجة الحفريات العلمية أن مدينة تلك البلاد تنقسم إلى بضعة أقسام يمكننا الحديث عنها مبتدئين بشمالها ومنتهين بجنوبها.

### أولاً: خوارزم :

ولها لغة خاصة بها وديانة شبيهة بما عند السغد وفنون وحضارة تختلف عن جيرانها، ويفهم من كتب أبي ريحان البيروني أن الخوارزميين قد نموا تاريخهم وحضارتهم القديمة ٢.

### ثانياً: السغد :

ومعها المدينتان الهامتان بخارى وسمرقند، ولهم لغة إيرانية خاصة بهم، وكانت ديانتهم محلية وهي المانوية، وأيضاً فنون وحضارة متميزة عن غيرهم. وكان السغد تجار الشرق ونشروا ديانتهم المانوية [وهي إيرانية] والمسيحية بين الترك والمغول ووصلوا بها حتى الصين.

### ثالثاً: باكتيريا (بلخ) :

وتقع في شمال حوض نهر جيحون أسفل النهر. وكانت اللغة الباخترية تكتب بالحروف اليونانية، وانتشرت بينهم الديانة البوذية، أما الفنون الجميلة فكانت لها صفة خاصة وطابع مميز، وهم يختلفون في ذلك عن السغد والخوارزميين. وكان مركز إقليم باكتيريا مدينة بلخ الشهيرة.

#### رابعاً: جبال هندوكش :

ومركز هذا الأقليم كابل. وكان يعد الحد الفاصل بين ايران والهند. وترجع أهمية هذه المنطقة لكونها ميدان الصراع والتنافس بين ايران والهند، وراجت فيها ديانات عديدة مثل البوذية والهندوسية. وأثبتت الحفريات الحديثة أنه كانت في مدينة غزنة الواقعة في جنوب هذه البلاد سلسلة من الملوك الرهبان يطلق عليهم لقب «زنتيل»، وهو لقب ملوك كابل، ويقال لهم أيضاً «رتبيل»، واشتهروا بوقوفهم في وجه العرب والاصرار على مقاومتهم.

#### خامساً: بلاد السكاثيين :

وهي منطقة حوض نهر هلمند وسجستان الحديثة. وكان شعب هذا الأقليم يتكلم اللغة السكاثية، ولعل سجستان هذه كانت الينبوع للحماسة الايرانية الوطنية.

#### سادساً: خراسان الحالية :

وهي أقرب الأجزاء الشرقية إلى المناطق الغربية الإيرانية، وفيها مدن هراة ومرو ونيشابور، وراجت في هذه النواحي لغة وثقافة ايران الغربية ابان العصر الساساني.

وكانت هذه المناطق الست تشكل الجزء الشرقي لايران الكبيرة والتي كانت تروج فيها اللغات الايرانية والحضارة الفارسية.

لقد جاء الحديث عن هذه المناطق كأماكن منفصلة عن بعضها طبقاً لواقعها التاريخي والحضاري قبل الإسلام، لقد كانت تلك المناطق لفترات عديدة تحت سيطرة سلطة واحدة، مثل عصر الكوشانيين. وكانت خراسان وسجستان تحت حكم ايران الغربية، أي زمن الأشكانيين والساسانيين. وأيضاً كانت مناطق الهندوكش وباكتيريا يضمها حكم مشترك وسلطة واحدة، وكلتاها يقعان على الطريق الرئيسي الموصل بين آسيا المركزية وشبه القارة الهندية.

وكان الكوشيون أبرز حكام شرق إيران، خاصة الملك «كانيشكا» المعاصر لدارا الكبير، ولقرون عديدة كان ملوك وأمراء المشرق ينتسبون إلى هذا الملك، وأيضا كان الملوك المحليون في كشمير حتى القرن الخامس الهجري يعرفون بأنهم من نسل «كانيشكا».

ويمكن تقسيم تاريخ آسيا المركزية الإسلامي بعصرين كبيرين، العصر الإيراني ثم العصر التركي. ويتميز القرنان الثاني والثالث الهجريان بسيطرة العرب وانتشار الإسلام وقدم الأتراك من مواطنهم بالتركستان للاستقرار في البلاد، وتم ذلك في فترة زمنية متقاربة. ولاشك أن هذه الفترة ذات أهمية فائقة في التاريخ الإسلامي.

وبعد هذا العرض التاريخي المركز لمنطقة آسيا المركزية تواجهنا ثلاثة أسئلة هي صلب الموضوع على النحو التالي:

الأول: لماذا أصبحت آسيا الوسطى أو إقليم ماوراء النهر مركز العلم الإسلامي؟

الثاني: متى بدأت هجرة العلماء والأدباء وغيرهم من آسيا الوسطى؟ وهل كانت هجرتهم لفقدان حضارة ومدنية ماوراء النهر أم لا؟.

الثالث: لماذا توجه أكثر المهاجرين من تلك البلاد إلى الهند أكثر من توجههم إلى إيران الغربية أو العراق أو بلاد الروم (الأناضول).

ونرد على ذلك بالآتي:

كانت آسيا الوسطى قبل استيلاء العرب عليها تضم حكومات صغيرة وعديدة، مثل بخارى وسمرقند واستروشنه (وليس اشروسنه) وخوارزم. وكان اقتصاد هذه الدويلات يعتمد على التجارة والصناعات اليدوية، مثل النسيج والسجاد والحرف، ولم تكن الزراعة المهنة الأساسية لشعوب آسيا المركزية، ولم تكن هناك ديانات عديدة متنافسة، وأيضا لم تكن فيها حكومة مركزية في أي وقت، وكانت في وضع اقتصادي وثقافي وديني يختلف عن إيران الغربية الساسانية حيث كانت تعتمد اعتمادا كبيرا في حياتها على الزراعة، وكانت الديانة الزردشتية تولى أهمية كبيرة للزراعة وتربية الحيوان، بل يعتبر ذلك من الواجبات الدينية. وكانت لايران الغربية حكومة مركزية

قوية وثقافة دينية عالية حتى أن الأيرانيين كانوا راضين عن ديانتهم  
الزردشتية ويعتبرونها محور حياتهم وسبب عظمتهم .

وعندما تلاشت مقاومة الحكومة الساسانية المركزية بعد انتصار العرب في  
معركة نهاوند لم يواجه المسلمون حروبا محلية ، أما في آسيا الوسطى فإن  
مقاومة شعها للعرب والإسلام كان شديدا ومريرا . ولهذا السبب تأسست  
قواعد عسكرية عديدة للجند الإسلامى ونعنى بالجند الإسلامى العرب  
والايرانيين على السواء .

واستوطن كثير من الجند الإسلامى فى مرو وبخارى وسمرقند ، وكان  
يصحبهم فى مسيرتهم تجاه الشرق قوافل من العلماء ، كان بينهم بعض  
الصحابة رضوان الله عليهم مثل القثم بن العباس المدفون فى سمرقند ويلقبونه  
بزنده شاه . وكان من بين العرب المقاتلين الذين قدموا آسيا الوسطى جماعات  
غفيرة من قبيلة أزد كانت تقطن حضرموت وعمان ، وقد عرف عنهم بشهرتهم  
العريقة فى صناعة الأردية الصوفية والأكلمة والسجاجيد . وأسهم الأزديون  
فى صناعة السجاد فى بخارى وسمرقند وأنتجوا صنفا جديدا من السجاد  
لا يزال يحرز أهمية ورواجا حتى يومنا هذا . فكان هذا الاختلاط والتزواج ذا  
فائدة للطرفين ، ووصل نشاط هؤلاء التجار سكان ما وراء النهر فى عصر  
الدولة الأموية كافة البلدان الإسلامية ، فكان ذلك مقدمة لتقارب وتعاون  
بين أهالى البلاد المفتوحة فى آسيا الوسطى والعرب الفاتحين . ومع وجود  
أعداد غفيرة من المسلمين فى آسيا الوسطى وانشغالهم بالحروب والفتوحات  
أكثر من اخوانهم فى ايران الغربية فإن الدين الإسلامى انتشر بسرعة وغير  
الناس فى ماراء النهر دياناتهم أكثر من ايران الغربية وذلك لسببين هامين ،  
هما :

الأول : كانت هناك فائدة اقتصادية لانخراط الأهالى فى الإسلام .

الثانى : كان من السهل تغيير الديانة فى آسيا الوسطى أكثر مما كان  
عليه فى غرب آسيا ، حيث استمرت التنظيمات الدينية الساسانية فى مزاوله  
أعمالها بحرية تامة بعد استيلاء العرب على إيران . أما فيما وراء النهر فكان

تعصب الأهالي لعقيدتهم الدينية خفيفة وهشة، بل لم تكن للناحية الروحية وجود في نفوسهم.

ولهذه الأسباب مجتمعة نشطت الحياة الإسلامية في آسيا المركزية وصاحبها التعليم والدراسة حتى أصبحت مركزا للعلوم الإسلامية وموطنا من مواطن العربية والفارسية، وخرج من بلادها في كل عِلْم عِلْم بل أعلام. ونال علمهم وأدبهم قبول الكافة. في حين تأخرت مدن إيران الغربية عن ذلك، بدليل أن علماء بخارى وسمرقند ومرو ونيشابور كانوا أكثر وأشهر من علماء إيران الغربية في القرون الثلاثة الأولى الإسلامية. وكانت أسماء الأعلام الإسلامية من قبيل الانتساب إلى مدن بخارى وسمرقند وغيرها أشهر بكثير من علماء كرمان وشيراز ويزد وأصفهان وتبريز الذين كانوا يعيشون في نفس الفترة.

وبعد أن وثق علماء وأدباء ما وراء النهر بعلمهم وأدبهم بدأوا يصدرون العلم والأدب، فبدأت هجرة علماء وأدباء ما وراء النهر. وتدل حركة علماء نيشابور في القرن الثالث الهجري وخاصة في أواخر العصر الساساني إلى توجه عدد كبير من علماء بخارى وسمرقند إلى الغرب بعامة وبغداد بخاصة، وزاد عددهم بمضى الوقت عندما بدأت الدولة السامانية في التحلل والتفسخ ثم الانقراض. وفي تلك الفترة بدأت القبائل التركية هجراتها نحو البلاد الإسلامية فكانت بلاد ما وراء النهر معبرهم نحو الغرب. ولاشك أن بلدان آسيا المركزية وخراسان بما فيها من أهالي وزراعة وتجارة قد تعرضت لأخطار مدمرة نتيجة هجرات الأتراك من مواطنهم في التركستان.

وعلى هذا النحو توجه علماء وأدباء ورجال ما وراء النهر أول ما توجهوا إلى العراق وغرب إيران. وكانت هذه المناطق تحت حكم ملوك آل بويه، ولكنها كانت ذات فرص محدودة سواء للعمل أو الحياة الكريمة. ولكن ظهر ميدان جديد ملىء بالغنائم والفرص عندما جلب السلطان محمود الغزنوي جندا كثيفا من آسيا المركزية إلى غزته عاصمة مملكته ليشاركوا في الحروب التي قام بها في الهند.

وبعد أن كان الطريق القديم للهند يستخدم فى التجارة وأصبح منذ عصر السلطان محمود طريق الفتح والغنائم وتحقيق الآمال والأحلام، خاصة بعد أن تشرف أترك آسيا الوسطى بالإسلام وأصبح المجاهدون فى سبيل الله فى هذه المناطق دون عمل، فالتحقت جماعات غفيرة منهم بخدمة الدولة الغزنوية وأسهموا مساهمة فعالة فى تحطيم معابد الشرك والضلال فى الهند، كما أسهموا فى نشر الإسلام والحق شبه القارة الهندية بدار السلام.

وأيضاً توجهت جماعات أخرى صوب الغرب، ويسجل التاريخ أنهم حاربوا الأرمن واليونانيين وفتحوا باب آسيا الصغرى أمام المسلمين زمن الدولة السلجوقية، ولكنه نظراً لقرب الهند لأقليم ماوراء النهر وراثتها الفاحش وعدم وجود حكومة مركزية قوية أغراهم بالتوجه إليها وسهل انتصارهم الذى هو انتصار للإسلام.

ونقل أهل ماوراء النهر ضمن ما نقلوه معهم إلى الهند اللغة الفارسية. وقد غادر الكثير من العلماء والأدباء والمتصوفة بلادهم عندما شرع جنكيزخان يزحف نحو المشرق الإسلامى زمن السلطان علاء الدين محمد الخوارزمشاه، وكان جنده أمواج متلاطمة فانتقلت عظمة البلاطات من خوارزم وخراسان إلى دهلى والمولتان ولكنهنواحيث وجد الفارون من وجه المغول لدى اخوانهم فى الدين الملاذ والعون والأمان.

وفى النهاية استقر أكثر المهاجرين من بلاد ماوراء النهر فى الهند واتخذوها موطناً لهم، وكانت بلادهم تضم فى ذلك الوقت أعداداً غفيرة من العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم حتى أنه لم يكن فى العصر الإسلامى حتى اجتياح المغول موطن به وفرة من المثقفين الممتازين مثل إقليم ماوراء النهر. ويؤكد ذلك القول أمير خسرو الدهلوى فى مقدمة كتابه «غرة الكمال» ويذكر أنه كان ينظر إلى الأدباء من إقليم ماوراء النهر نظرة استحسان وتقدير كاملين، وأحياناً يفضلون على الخراسانيين والسيستانيين نظراً لما يحرزونه من استعداد طيب ومواهب خلاقة ولغة مكتسبة سليمة النطق.

ونظراً لأن أغلب حكام وسلطين الهند من آسيا الوسطى فإنهم ساروا

على طريقة من سبقوهم من الحكام بأن جعلوا الفارسية لغة رسمية لهم ،  
فانتشرت بين أهل الهند، حتى أن أمير خسرو الدهلوى قارن بين اللغة  
الفارسية الوافدة ولغات الهند فى عصره فذكر أن جميع سكان شواطئ نهر  
السند حتى البحر المالح (ويقصد بذلك بحر العرب) وهى فى حدود أربعة  
آلاف فرسخ يعرفون اللغة الفارسية، وذلك مقابل كل مائة فرسخ نجد  
المتكلمين بلغة هندية يختلفون فيما بينهم . أما الفارسية فهى موحدة ويفهمها  
الجميع عندما يتكلمون بها . وساعد على ذلك أنه طبقا لمقاييس بلاد ماوراء  
النهر فإنهم عندما يكتبون اللغة الفارسية يتلفظون كل حروفها، لذلك فإن  
هناك بين فارسية ماوراء النهر وفارسية الهند شبه كبير. أما الأقاليم الأخرى  
فإنه لا يوجد تقارب سواء فى المخاطبة أو صفاء اللغة أو وحدتها مع سائر  
الأقاليم التى تتحدث الفارسية . وأورد أمير خسرو فى كتابه «غرة الكمال»  
نماذج عديدة نذكر منها واحداً وهو: ومثال ذلك ينطق الخراسانيون «چه»  
على صورة «چی» و«كجا» يتلفظونها «كچون» وواضح النطق الصحيح  
لهذه الكلمات من خلال حروفها الهجائية وألفاظ أخرى يكتبونها سليمة  
ولكن تلفظ بشكل آخر.

ومنذ سيطرة السامانيين على إقليم ماوراء النهر انتشرت اللغة الفارسية  
الدرية فى إيران الشرقية حتى يمكن القول أنه بواسطة شعراء وأدباء إقليم  
ماوراء النهر وخراسان وسيستان منذ أواسط القرن الثالث حتى أواسط القرن  
الخامس الهجرى تم ارساء قواعد وأسس الأدب الفارسى وأخذ شكله الحالى ،  
وأنه نتيجة فتوحات الغزنويين والسلاجقة واتخاذهم اللغة الفارسية لغة رسمية  
لهم سيطرت الفارسية على المشرق الإسلامى، وأصبح إقليم ماوراء النهر  
منطقة خصبة لتربية الشعراء والكتاب حتى بعد زحف اللغة الفارسية الدرية  
غربا إلى العراق وأذربيجان . ولا يزال الكثير من النقاد حتى الآن يذكرون  
مصطلح «سبك تركستانى» أى أسلوب الشعر والكتابة نتاج التركستانيين  
بدلا من «سبك خراسانى» .

ولعللى أكون قد عرضت فى بحثى هذا دراسة موجزة عن جزئية للغة



## « لمحات من جهاد مسلمي تركستان ضد الغزو الشيوعي »

للدكتورة شيرين عبد النعيم حسنين

الأستاذ المساعد بقسم اللغة الفارسية وآدابها

بكلية الآداب - جامعة عين شمس .

في الذكرى السنوية العاشرة لوفاة الزعيم السياسي والمجاهد الديني العلامة أبي النصر مبشر الطرازى، يجمل بي أن أعرض لمحات من جهاد مسلمي تركستان منذ الغزو السوفيتي حتى الوقت الحاضر، نظراً لأن وقت هذا البحث يضيق بالحديث مفصلاً عن هذا الجهاد العظيم، إن هذه الشعوب الإسلامية العريقة التي تقطن مساحة واسعة من قارة آسيا تمتد من بحر الخزر غرباً حتى الصين شرقاً ومن سيبيريا شمالاً حتى إيران وأفغانستان جنوباً، قد أخرجت لنا دولاً عظيمة تركت بصماتها في التاريخ الإسلامى حتى الآن، حيث ساهم قوادها في نشر الإسلام في بقاع العالم المختلفة كالهند على يد الدولة الغزنوية، وآسيا الصغرى على يد الدولة السلجوقية، والصين وشرق أوروبا على يد الدولة المغولية، كما أنجبت الكثيرين من رواد الفكر الإسلامى، وأخص بالذكر في هذا المجال أمام المحدثين البخارى .

غير أن عجلة الزمان قد انقلبت على شعوب هذه البلاد العريقة منذ أن توطدت دعائم القيصرية في الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى، وشعر القيصر إيغان الثالث بقوته، فامتنع عن دفع الجزية لخان المغول، ومنذ القرن السادس عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر دار صراع مرير بين الطرفين، انتهى بسيطرة روسيا القيصرية على بلاد تركستان الإسلامية .

ثم تفاقمت الأحداث على هذه الشعوب ذات الحضارة العريقة، حتى لقيت مصيرها المحتوم على يد الثورة البلشفية الشيوعية التي وثبت إلى السلطة فى أكتوبر عام ١٩١٧م، وانتهجت سياسة الخبث والدهاء فى القضاء على حضارة هذه الشعوب تمهيداً لترويسهم، ثم صهرهم فى بوتقة الشيوعية الملحدة التى ترى أن الأديان وبخاصة الدين الإسلامى تقوم بدور هائل فى عرقلة تطور المجتمع الشيوعى وربطه بعجلة التكنولوجيا المتقدمة كما يدعون!!.

فأصدرت فى نفس العام أى عام ١٩١٧م أول مرسوم بعنوان عن الأرض، يقضى بمصادرة جميع الأراضى المملوكة لدور العبادة.

وفى عام ١٩١٨م أعلنت حكومة الثورة فى دستور جمهوريتها مبدأ حرية الضمير، ونصته فى شكل مادة دستورية تنص أن حرية الدعاية الدينية والادينية مكفولة للجميع.

ثم أصدرت بعض القرارات بشأنه، تنظم بموجبها ممارسة الشعائر الدينية، وتحدد حقوق المتدينين وواجباتهم ومن أهمها:

١ - يعطى القانون للمتدينين الحق فى تكوين منظمات أو جمعيات دينية ولأعضائها الحق فى ممارسة الشعائر والطقوس الدينية، بشرط أن يتقدم المؤسسون بطلب للجنة التنفيذية التابعة لمجلس السوفيت فى المنطقة أو المدينة، لتوقيع اتفاقية بينهم وبين السلطات، ويختص بالفصل فى كافة الأمور المتعلقة بنشاط الجمعيات الدينية لجنة شئون الأديان التابعة لمجلس الوزراء السوفيتى بواسطة فروعها المختلفة، وبدون هذا التسجيل يصبح نشاط الجمعية الدينية محظوراً وغير قانونى.

٢ - من حق الدولة أن تمنع نشاط أى جمعية دينية أو تغلق أى دور للعبادة وتصادر ممتلكاتها، إذا رأت أن نشاطها يخالف أهداف الدولة.

٣ - لا تمنع الدولة فى إجراء المراسم الدينية للزواج، ولكن الزواج لا ينعقد ولا يترتب عليه الآثار القانونية إلا بتسجيله فى سجل الأحوال المدنية.

٤ - يحظر ممارسة أى طقوس أو مراسم دينية أو إدخال ما يلزم من أدوات لأداء الشعائر الدينية فى جميع المؤسسات الحكومية والعامّة فى أى مكان دون الأماكن المخصصة لأداء العبادة وإلغاء اليمين الدينى فى المناسبات الرسمية والاجتماعية .

٥ - يحظر على الجمعيات والمنظمات الدينية أن تخصص صندوقاً للمعونات ، أو أن تقوم بأى نشاط خيرى أو عمل اجتماعات ولقاءات وندوات خاصة بالأطفال والشباب والمرأة ، كما يحظر عقد أى نوع من أنواع الحلقات لتدريس الدين للمواطنين .

٦ - يحظر زيارة الأماكن الدينية المقدسة حفاظاً على صحة المواطنين .

٧ - يمنع منعاً باتاً التعليم الدينى للأطفال فى المدارس أو دور العبادة ، كما يحظر دخول دور العبادة للمواطنين الذين تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاماً .

٨ - يحظر على رجال الدين استغلال الخطب للتعبير عن وجهات نظر سياسية أو اجتماعية أو توجيه أى بيان أو منشور ليس فى صالح الدولة .

٩ - يضمن القانون المساواة بين المواطنين فى الدين ، وبالتالي يقضى بعدم النص على دين المواطن أو الطائفة الدينية التى ينتمى إليها فى أى وثيقة رسمية .

١٠ - يحظر على الجهات المحلية أو المركزية تخصيص أى اعتمادات مالية لصالح المؤسسات الدينية سواء كانت هذه الاعتمادات فى شكل إعانات مفروضة على المواطنين تكتسب صفة الإلزام .

وفى نفس الوقت انطلقت الجيوش الروسية دون سابق إنذار بأحدث أسلحة العصر لتخضع الشعوب التركستانية المسلمة بأبشع وسائل القمع ، وقد استماتت هذه الشعوب فى الدفاع عن بلادها ، فكان المجاهدون بمعاونة الأهالى

يعتصمون بالجبال التي اتسمت بها طبيعة بلادهم ويستمتتون في المقاومة، وأمام مناعة مقاومتهم، كانت الجيوش الروسية تلجأ إلى حرب التجويع بقطع طرق الإمدادات إلى هذه البلاد مع قصفها برأ وجواً، حتى تمكنت من السيطرة الكاملة عليها عام ١٩٢١ م.

ثم شرعت الحكومة السوفيتية بعد ذلك وعلى الفور في تنفيذ مخططاتها الشيوعية، فقامت عام ١٩٢٣ م بتمزيق أواصر هذه الشعوب، وذلك بتقسيمها إلى ست جمهوريات تعرف حتى الآن باسم أوزبكستان، تركمانستان، تاجيكستان، قازاقستان، قيرغيزستان، وقره قاليق، وضمها إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية تحت اسم جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية بدلاً من تركستان، حيث إلغى هذا الاسم بقانون عام ١٩٢٤ م.

وقد كان عماد هذا التقسيم الاختلاف في اللهجات، على الرغم من أن هذه اللهجات كلها تنتمي في الأصل إلى لغة واحدة وهي اللغة التركية الخاقانية الشرقية.

وإمعاناً في خلخلة تجمعاتهم الإسلامية، وقطع صلاتهم بين حاضرهم وماضيهم، والقضاء على حضارتهم، قامت الحكومة السوفيتية بنفى ما يقرب من خمسة ملايين من سكان هذه المناطق المسلمة، واستقدمت ألوفاً مؤلفة من الروس الأوربيين للعيش بينهم، حتى أن الروس أصبحوا يشكلون الآن ثلاثة وأربعين في المائة من سكان جمهورية قازاقستان، وانخفض عدد المسلمين بها إلى اثنين وخمسين في المائة، بعد أن كانوا يشكلون نحو سبعين في المائة، كما أصبحوا يشكلون تسعة وعشرين في المائة من سكان جمهورية قيرغيزستان، وانخفضت نسبة المسلمين إلى أقل من خمسة وأربعين في المائة، بعد أن كانوا يشكلون نحو اثنين وتسعين في المائة من مجموع سكانها.

كما أصدرت الحكومة السوفيتية عام ١٩٢٥ م قراراً باستبدال حروف هجاء اللهجات التركية الخاقانية وأهمها الجغتائية المكتوبة بالحروف العربية، والمطعمة بكثير من الكلمات العربية، وذلك من أجل ترويس هذا الشعب المسلم والقضاء على قوميته.

أما نشر الإلحاد الذى هو هدف الثورة عن طريق زعزعة العقيدة، وتشكيك الناس فى إيمانهم، وتزييف حقائق تاريخهم الإسلامى من أجل القضاء على الدين، فقد تولى الإشراف على تنفيذ مخططة وزارتا التعليم والشقافة والنقابات المهنية، وتعمل جميعها تحت إشراف الحكومة فى ممارسة الدعاية الإلحادية بواسطة أجهزتها المتعددة.

وعلى الرغم من هذا لم ييأس المسلمون، بل واصلوا الدفاع عن وطنهم، فبعد إنهزام جيوشهم المنظمة، واصلت حركة المقاومة الشعبية التى كان قد شكلها فدائيو التركستان عام ١٩١٨م وتزعمها رجال الدين وكان المجاهد العلامة الطرازى من بينهم فى شكل جيش وطنى قوامه خمسة عشر ألف مجاهد للجهاد ضد الاحتلال الروسى. فكانت فى كل إمارة جبهة مقاومة تسلك حرب العصابات مع الجيوش الروسية، حيث كان المجاهدون يختبئون فى الجبال، ثم يقومون ليلاً بالإغارة على مخازن الأسلحة والذخيرة الروسية فينبهونها، ثم يحاربون بها القوات الروسية، لذا أطلقت الحكومة الروسية عليهم اسم الباصماجية، وكلمة باصمق فى التركية الجغتائية بمعنى الهجوم المباغت إلا أن هذا التعبير فى اصطلاح الروس يعنى قاطع الطريق.

فظلت هذه الحركة مصدر قلق للحكومة السوفيتية حتى استطاعت أن تقضى عليها عام ١٩٣٢م بعد أن استشهد حوالى خمسة ملايين تركستانى من المجاهدين وشرد حوالى أربعة ملايين إذ تركوا ديارهم مهاجرين فى أنحاء العالم.

وفى أثناء قيام الحرب العالمية الثانية، وهزيمة الألمان للروس انتهز الزعيم السياسى مبشر الطرازى زعيم مهاجرى المسلمين فى مهجره فى أفغانستان الفرصة، فشكل حركة مقاومة امتداداً للحركة السابقة بمساندة الحكومة الأفغانية، ولكن هذه الحركة لم تعط الفرصة لمواصلة الكفاح بسبب الضغط الروسى على الحكومة الأفغانية لتصفيتها، فألقت القبض على ثلاثة وخمسين من رجالها، كان من بينهم زعيمهم مبشر الطرازى وابنه الأكبر الأستاذ

نصر الله حيث سجن أكثر من خمس سنوات، ثم أفرج عنه فى عام ١٩٤٨م، وهاجر بعدها إلى مصر فى سبتمبر ١٩٤٩م.

وفى مصر من عام ١٩٤٩م حتى عام ١٩٥٦م واصل نضاله من أجل تحرير بلاده فى الدوائر الرسمية والمحافل السياسية وصحافة مصر والعالم العربى، كما رفع نداء بلاده فى مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٢م بصفته ممثلاً لتركستان فى جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية بالقاهرة ومن زمرة المؤسسين لها.

أما بالنسبة لنضال المسلمين فى روسيا ضد المخطط الشيوعى ونشره للإلحاد عن طريق التشكيك فى الإسلام، وذلك بإعادة تصنيف تاريخ الإسلام وكتابه بشكل ينفى الصفة الإلهية عن الإسلام وكتابه المنزل، فلم يتوان المسلمون حتى الآن عن بناء المساجد وصيانتها، وإنشاء الجمعيات الدينية بجهودهم الذاتية، دون طلب مساعدة الحكومة السوفيتية، كما لم يتهاون الزعماء الدينيون عن التصدى لهذا المخطط بإلقاء الخطب فى المساجد وتاليف الكتب رداً على حملات الافتراء والتشكيك هذه، وجدير بنا فى هذا المقام أن نشيد بشجاعة مبشر الطرازى الذى تصدى فى عام ١٩٢٦م لأحد الكتاب الشيوعيين الملحدون الذى كان قد نشر كتاباً فى التشكيك فى نبوة سيدنا محمد عليه السلام تحت عنوان (هل محمد رسول الله؟) فألف كتابه (القرآن والنبوة) فى الرد على افتراءات هذا الكتاب، وقام بشرحه للمسلمين فى مسجد الجامع، فما كان من الحكومة السوفيتية إلا أن أصدرت أمراً بحجسه ومصادرة مكتبته الخاصة.

وعندما أصدرت الحكومة السوفيتية عام ١٩٢٨م قراراً برفع الحجاب، قاوم المجاهد الطرازى هذا القرار مقاومة شديدة عن طريق الخطب بالمسجد، مستنداً على المادة الدستورية التى تنص على أن الحرية الدينية واللا دينية مكفولة للجميع، والتى تطبقها الحكومة من أجل نشر الإلحاد، مما أغضب الحكومة، فأصدرت حكماً بإعدامه عام ١٩٣٠م فاضطر إلى الهجرة خفية إلى

أفغانستان وفي رفقته ابنه الأكبر (نصر الله عمره ٨ سنوات) من جملة أهدى وعائلته التي بقيت في أسر الحكومة الشيوعية وتم حبس بعضهم وإعدام عدد كبير منهم .

وعلى الرغم من هذا المصير المشوم الذي آل إليه المسلمون في روسيا، وعلى الرغم مما انخدع منهم بالسياسة الشيوعية وانجرف في تيارها، وأصبح من الموالين لها، لا يزال من المسلمين هناك حتى الآن من يقفون صخرة منيعة في وجه تيار الإلحاد الجارف، يتمسكون بدينهم ودينهم، ويؤكد هذا أقوال الكتاب السوفيت التي وردت في كتبهم وصحفهم، أذكر منها على سبيل المثال ما ورد في مقال بعنوان (خصائص نشر الإلحاد بين أفراد المسلمين في الاتحاد السوفيتي) وقد نشر ضمن كتاب أصدره معهد الإلحاد العلمى التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعى عام ١٩٦٧م تحت عنوان (نشر الإلحاد بين أفراد المتدينين) للكاتب بيراموف يقول فيه (إن لنشر الإلحاد بين أفراد المسلمين خصائصه وصعوباته وتعقيداته) ثم يقر أن الإسلام لا ينشر عن طريق الأئمة فحسب، بل كذلك عن طريق المواظين على زيارة المساجد، وعن طريق المشايخ التجولين والمتدينات من العجائز، أولئك الذين يستغلون نفوذ التقدم فى السن، وهو نفوذ واسع الانتشار بين الشعوب الشرقية).

وفى مقال آخر نشر تحت عنوان (الإسلام والشباب فى العصر الحديث) ضمن مجموعة بعنوان (الشباب والإلحاد) فى عام ١٩٧١م يقول الكاتب قربانوف (إن وعى الغالبية العظمى من الشباب السوفيتى قد تحرر من روااسب الدين، وأصبح الإلحاد صفة لا تنفصم عن البنية الروحية لفتياننا وفتياتنا، غير أن بعض شبابنا ما يزال خاضعاً لتأثير الدين، وفيما يتعلق بالإسلام، هناك أسباب كثيرة جعلت تأثيره على الفتيان والفتيات ما يزال أقوى من غيره من الأديان).

كما يذكر قربانوف فى مقاله أن الأدياء فى المناطق الإسلامية يحرصون كل الحرص على تلقين أبنائهم قواعد الإسلام وفقه العبادات والسيرة الشريفة، وقد قامت الشرطة السوفيتية فى فرغانة باكتشاف وضبط مدرسة

خاصة خارجة عن القانون، تضم ثلاثة وعشرين طفلاً، أقامها السكان لتفقيه أبنائهم في دينهم إلى جانب إلحاقهم كتلاميذ عادين بالتعليم العام، واكتشفت محاولات ماثلة في انديجان وبنغان وداغستان وغيرها.

أما ما ورد في صحفهم فهو يؤكد إصرار المسلمين هناك على حماية دينهم وتدعيمه حتى وقتنا الحاضر، أذكر منها على سبيل المثال ما نشرته جريدة (پرافدا) السوفيتية الناطقة باسم منظمة الشباب السوفيتية، نقلاً عن جريدة الأهرام الصادرة في الثاني عشر من شهر يونية عام ١٩٨٣م، تصرح فيه أن اتجاه الشباب في هذه الجمهوريات إلى الدين الإسلامي، بدأ يثير قلق المسؤولين الشيوعيين هناك!.

كما نشرت صحيفة سوفيتية أخرى تدعى صحيفة (آذربيجان) نقلاً عن جريدة الاتحاد الصادرة من دولة الإمارات في التاسع والعشرين من شهر مايو عام ١٩٨٥، أن ثلاثة مسلمين قد قاموا بإصدار الكتب الدينية والتقاويم باللغة العربية طوال عدة سنوات، وكانت الطباعة تتم ليلاً من قبل أحد المسؤولين عن طباعة الصحف في آذربيجان وأشارت الصحيفة بأن هؤلاء الثلاثة كانوا مستفيدين من المشاعر الدينية للمسلمين، مما تسبب في إحداث تلف أيديولوجي للشباب صفار السن.

وقد أضافت جريدة الاتحاد تأكيداً لما نشرته صحيفة آذربيجان السوفيتية هذه، وتأييداً لجهاد المسلمين هناك، تصریح صحيفة سوفيتية أخرى وهي صحيفة اوزبكستاني في يونية عام ١٩٨٤م، أنه قد تم اكتشاف مطبعة إسلامية سرية مشابهة في طشقند، وكان مايزيد عن عشرة أشخاص قد اشتركوا في المشروع، حيث حصلوا على مواد ومستلزمات الطباعة من المؤيدين المسلمين الذين يعملون في مصانع الدولة، وقامت تلك المجموعة أيضاً بتوزيع نسخ من القرآن الكريم وأشرطة تسجيل تحمل خطب الأئمة في جميع أنحاء اوزبكستان.

وفي الرابع والعشرين من يناير في هذا العام أي عام ١٩٨٧م نشرت صحيفة پرافدا السوفيتية نقلاً عن جريدة الدستور الصادرة من السعودية، تقول

إن هناك موقفاً دينياً معقداً في السنوات الأخيرة، حيث أصبحت الأعمال الإلحادية المناهية لتعاليم الإسلام غير مقبولة من المسلمين، ويشكو أحد كبار المسؤولين في تاجيكستان من أن عدد المؤمنين ورجال الدين غير الرسميين أخذ في التزايد، وذكرت الصحيفة أن رجال الدين يعملون على تشجيع ما وصفته بالمزاعم القومية والدينية غير المستساغة، وفي قيرغيزستان حذر أحد المسؤولين الحزبيين من أن دعاة الإسلام يدعمون نفوذهم في أوساط الشباب والفتيان والأطفال.

وفي ختام حديثي وبعد عرض بعض اعترافات الكتاب السوفيت فإننا نقر الحقيقة الأكيدة وهي أن الإسلام دين الحق الأزلي، الذي لا يقهر أمام متغيرات الظروف وتقلبات الزمان، وأنه باق حتى الساعة، وأن صمود جهاد مسلمي تركستان أمام تيار الإلحاد الجارف طوال سبعين عاماً أي منذ الاحتلال الشيوعي حتى الآن، يتم بعون من الله عز وجل، ولا بد له من نصرة في يوم أرجو أن يكون قريباً، ويدعم هذا ويؤكدته تلك الآية الكريمة التي جاءت في محكم تنزيله:

(ولينصرن الله من ينصره إنه ل قوى عزيز)

صدق الله العظيم.

## المراجع:

### أ - المراجع العربية:

١ - د. سعد مصلوح: المسلمون بين المطرقة والسندان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠ م.

٢ - د. شيرين عبد النعيم حسنين: مسلمو تركستان والغزو السوفيتي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٥ م.

٣ - د. عادل طه: المسلمون في العالم: الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠ م.

٤ - محمد الغزالي: الإسلام في وجه الزحف الأحمر: الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٤ م.

### ب - المراجع الفارسية:

٥ - أبو النصر مبشر الطرازي: مشنوی یادگار زندان یا آیینہ جهان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦ م.

### ج - المطبوعات:

٦ - لنفس المؤلف: اجمال حالات المسلمين في روسيا. القاهرة، ١٩٥٢ م.

٧ - جريدة الاتحاد، العدد ٢٩ من مايو ١٩٨٥ م الصادرة من دولة الإمارات.

٨ - جريدة الأهرام، العدد ١٢ من يونيو ١٩٨٣ م الصادرة من القاهرة.

٩ - جريدة الدستور العدد ٢٠ من يناير ١٩٨٧ م الصادرة من السعودية.

«التزواج بين الأدبين الفارسي والعثماني - نماذج تطبيقية»

لأستاذ نصر الله مبشر الطرازي

أستاذ اللغتين الفارسية والتركية وآدابها بجامعة مصر

من المتفق عليه تاريخياً أن العثمانيين (آل عثمان) وهم من عشائر بوزاق الأوغوزية القادمين من تركستان - الوطن الأم للترك - قد أسسوا دولتهم في الأناضول على أنقاض الدولة السلجوقية عام ١٢٩٩ الميلادية على يد عثمان خان أصغر أبناء «أرطغرل». وكان ملوك السلاجقة تركاً في جنسهم فرساً في أديبهم ومكاتبتهم الرسمية. إذ كانت اللغة الفارسية سائدة في هذا الوقت في أرجاء الشرق الإسلامي وفي ذروة نضجها وازدهارها. فباخذ ملوك آل عثمان الأول اللغة الفارسية لغة رسمية في رسائلهم ودواوينهم، ودامت الحال على هذا المتوال إلى عهد السلطان مراد الأول الذي اعتلى العرش عام ١٣٥٩ م.

وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي كانت مدن الأناضول مركزاً للصوفية من أتباع الطريقة اليسوية وغيرها.. فذاع التصوف بين طبقات الشعب التركي وشاع، وكان لمولانا جلال الدين الرومي - الذي هو أصلاً من أسرة چغتائية من مدينة بلخ والذي هاجر مع والده إلى الأناضول واستقر في مدينة قونية - الفضل الأكبر لنشر المبادئ الصوفية في أرجاء البلاد وذلك عن طريق مثنويه المعروف.

وقيل أن جلال الدين الرومي كان في قونية شعلتاً من ضياء لعبقريته

الشعرية والفكرية، فتبدلت الحالة الفكرية والروحية والاجتماعية في البلاد (١).

ولولانا الرومي قليل من الأشعار التركية تعتبر بحق بواكير الشعر التركي العثماني، أما في شعره الفارسي في مثويته وفي ديوانه المسمى بديوان شمس تبريزي كثير من ألفاظ وتراكيب تركية وهي ظاهرة تستحق النظر فيها (٢).

ولاشك أن جلال الدين الرومي صاحب فضل في نشأة الشعر العثماني وإن كان شعره التركي ليس بكثير ونلمح فيه تأثيره بلهجته الپچغتائية الأصلية، مع قلة استعمال الكلمات الفارسية. إلا أن من ساروا بعده نهجوا نهجه ونظموا الشعر بالتركية الأناضولية لنشر أفكاره الصوفية كابنه سلطان ولد وعاشق پاشا.. كان شعرهم نظماً صوفياً تعليمياً حرصوا أن يفهمه سواد الناس لذلك قلت في هذه الآثار المنظومة وهي مثنويات الكلمات الفارسية والعربية إلى حد، غير أن هذه الآيات سرعان ما إنعكست على مر الأيام فدخلت ألفاظ فارسية كثيرة إلى اللغة العثمانية، وحملت معها ألفاظ عربية عديدة.

ونرى ذلك في أشعار شيخنا المتوفى ١٤٢٦م الذي تعلم العلوم والطب في إيران ففي مثويته المسمى «خرنامه» وكذا ترجمته مع التصرف لخرنو وشيرين عن الشاعر النظامي، نلاحظ ألفاظاً فارسية كثيرة تربو في العدد على الألفاظ التركية (٣).

---

(١) كوبرلي محمد فؤاد وشهاب الدين سليمان: بكي عثمانلى تاريخ ادبياتى، استانبول، ١٣٣٢، ص ٨٢ وانظر أيضاً: قيام الدولة العثمانية للأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان.  
(٢) أ.د. حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، طبع القاهرة، ١٩٧١ص. وقد درس هذه الظاهرة العالم التركي شرف الدين في كتابه «مولانا ده توركجه كلمه لر وتوركجه شعرلر» استانبول (بالحروف اللاتينية ١٩٣٤ ص ٣.

(٣) أ.د. حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، طبع القاهرة، ص ٤١٨.

وشيخي كجميع شعراء الترك الذين أتوا بعده متأثر بالشعر الفارسي لفظاً ومعناً وهكذا كثرت ولوج الألفاظ والتراكيب الفارسية في التركية إلى حد بعيد حتى أصبحت العبارة التركية فارسية في ألفاظها وما فيها من التركية إلا الفعل والرابطة.

وأصبح من المتعذر على قارئها أن يفهم شيئاً منها ما لم يكن راسخ القدم في الفارسية، وكان ذلك من تقاليد الترك الأدبية التي يأخذ بها كلُّ شاعر وأديب ولا ينفك عنها. ولذلك كانت دراسة اللغة الفارسية والاطلاع على آدابها ضرورة ثقافية وسبباً إلى إكمال أداة البلاغة التي يقتدر بها أن يعالج فنّه الأدبي.

وهكذا نرى في آثار الشعراء العثمانيين أثراً ملموساً وبارزاً للغة الفارسية وآدابها، بل أن اللغة التركية بفروعها الچغتائية والآذرية والعثمانية إستعارت كثيراً من الكلمات العربية أيضاً عن طريق الفارسية، وبذلك أصبحت التركية مزيجاً من لغات ثلاث: التركية والفارسية والعربية. بحيث أن القارئ والسامع العربي أو الفارسي يتخيل أنه يسمع كلاماً عربياً أو فارسياً يتضمن بضعة ألفاظ لا يعرف معناها. وربما نبع من هنا قول الجاحظ الذي يقول: «إن لغات خراسان (ويقصد الفارسية) ولغة الترك لا تختلف إلا في اللهجة، كما تختلف لغة مكة عن لغة المدينة»<sup>(١)</sup>.

كما زعم المستشرق هاتشمان «أن العربية والفارسية والتركية في حقيقة الأمر ثلاث لهجات تنشعب عن لغة واحدة هي لغة الأدب الإسلامي»<sup>(٢)</sup> ولا شك أنه يبالغ في حكمه لتوضيح الحقيقة.

ويقول شمس الدين سامي وهو عالم لغوي من أهل المدرسة الحديثة:

1- Bartole : Histoire des Turcs d'Asie Centrale.

(Traduction Française), Paris 1946, p. 47.

2- Hachtmann : Europäische Kultureinflüsse in Turkei, Berlin, 1981, P. 9

نقل عنه د. المصري في كتابه السابق ذكره.

«لقد إعتدنا على أدبنا المعاصر وهو يلوح لنا طبيعياً موافقاً. ولكننا إذا نظرنا إلى نص قديم من نصوص النثر الفنى ثم قرأنا شيئاً منه على تركي لا يحدق العربية ولا الفارسية أو سيدة أصابت من العلم حظاً ضئيلاً، أو فارسي يجيد لغته أو عربي واسع العلم، وجدنا أنهم جميعاً لا يفقهون مما قرأنا عليهم شيئاً. فهذه الكتب لم تكتب بالتركية ولا الفارسية ولا العربية، ولقد درج الناس قولهم: أن لغة العثمانيين من ثلاث لغات: هى العربية والفارسية والتركية» (١).

وهذا أيضاً حكم لا يصح إطلاقه - كما أشار إليه الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى فى كتابه صلات بين العرب والفرس والترك - والأوجه أن يُقال إنها كتبت بالتركية العثمانية المتميزة بشدة تأثرها من الفارسية - هذا مع وجود إختلاف شديد فى سلالات اللغات الثلاثة، إذ أن اللغة العربية من اللغات السامية واللغة الفارسية من لغات الهند - أوروبية واللغة التركية من لغات آلتاي أورال التورانية وهى لغات إلتصاقية.

ويقول الأستاذ شادمان أحد علماء إيران فى كتابه «تسخير تمدن فرنگى» إن الترك أخذوا عن العربية والفارسية اللفظ والمعنى والبحر والوزن والقافية والموضوع فى المنظوم والمنثور، وذلك لوحدة الدين والجوار وأحداث التاريخ، ولكن فريقاً من شعراء الترك وكتابهم بالغوا فذروا أحياناً فى طعامهم كثيراً من ملح الفرس حتى عافه الذوق» (٢) وهذا الكلام إن كان منطقياً إلى حدٍ إلا أنه يجدر بنا أن نذكر هنا أن شعراء الديوان استخدموا الأوزان العروضية العربية والفارسية (١٩ بحراً) كوحدة للوزن فى نظم الشعر ولكنهم تفننوا فى أنواع النظم وهى عديدة ومتنوعة، وقد قلّدوا العرب فى

(١) أ. د. حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، طبع القاهرة، ص ٣٣٣ / ٣٣٤ ترجمة من:

Menzel: Die Turkische Literature, P. 289 - 290.

(٢) شادمان: تسخير تمدن فرنگى: طهران، ١٣٢٩ هـ. ش. نقل عنه د. المصرى فى كتابه السابق ذكره.

القصيدية والغزل كما قلّدا الفرس في كثير من الفنون الشعرية وأضافوا من عندهم نوعين هما (طويوغ = Tuyug) وشرقي (Sarki) (١).

ولقد إزدهر أدب الديوان - كما نعلم - في أوائل القرن الخامس عشر بشيخي وأحمد پاشا بجميع مواصفاته ومميزاته ووصل إلى عهد الكمال مع باقي وفضولى في القرن السادس عشر الميلادي وارتقى إلى القمة مع الشيخ غالب في القرن الثامن عشر الميلادي.

ولهذا الرقي والازدهار علاقة مباشرة باللفظ والمعنى اللذين يشكلان كل بيت من أبيات شعر الديوان.

وشعراء الديوان المجيدون يدققون كثيراً في إختيار الألفاظ ويلتزمون بالقاعدة التي عليها الضرورة الملحة لإستعمال كلمة مكان كلمة وهذه ميزة تفرضها صنعة الطبايق أوالتناسب كما يسمونها الأتراك في علم البديع.

وكانت اللغة العربية في رأى الأتراك لغة الدين والشريعة، ولذلك كان تعلم اللغة العربية أمراً ضرورياً للأديب أو الشاعر أو العالم التركي، ولكن لم يكن ذلك لهم من سهل الأمور، فنحو اللغة العربية ومتمها ونطقها أمر صعب لكل أعجمي سواء كان تركياً أو إيرانياً، أما الفارسية للتركي أسهل نسبياً ولذا مع أننا نرى من العلماء الأتراك من برزوا في اللغة العربية وآدابها وساهموا في إرساء التراث الإسلامي نلاحظ كثيراً من العلماء الأتراك يجيدون الفارسية إجادة تامة ويتحدثون بها من غير عناء، أما لغتهم العربية فتعثر.

وعلى أية حال فإن الأتراك كانوا أكثر إهتماماً بالفارسية لأن صلتها بلغتهم أقوى من صلتها بالعربية، ولا سيما أن العربية دخلت التركية عن طريق اللغة الفارسية الدرية. وهى لغة كان لها إزدهارها تحت حكم السامانيين والسلاجقة والغزنويين والعهد المغولي والدولة العثمانية، وذلك لتشجيع سلاطين وملوك وأمراء هذه الدول للعلماء والأدباء دون النظر إلى

قومياتهم المختلفة. ولذلك كانت اللغة الفارسية لغة الدواوين وشعراء الفرس قدوة لشعراء الترك فى الوطن التركى الكبير بدءاً من تركستان إلى بلاد الأناضول.

ولا عجب فى ذلك، إذ أن بين الشعوب الإسلامية ولاسيما الشعوب العربية والفارسية والتركية صلوات وأواصر تتساند كلها فى وحدة وترابط جلية القسّمات متسقة، يشوه من جمالها أن يتنقص شىء من كمالها أو يُنصل لوّن زاهٍ من ألوانها (١).

فمن عجب بل ومن أسف — كما يقول الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى واتفق معه فى رأيه — أن يكون فى معرفة كثير من المثقفين البادئين منهم والمنتهين فجوة وسيعة فيما يتعلق بالصلوات بين الشعوب الإسلامية، وهذا ما لا ينبغى أن يكون وتلك حقيقة لا يسعهم أن مجهلوها كائناً من كان السبب.

ومعلوم أن الإسلام آلف بين الشعوب التى إعتنقها مع تباين أجناسها وألسنتها وحضاراتها ومشاربها، ودعى المسلمين إلى الإخاء والمودة والوحدة والتكتل، واستطاع تأسيس مجتمع صالح لا من أمة عربية فحسب بل من أمم مختلفة، فجعل التماثل عوضاً من التغاير وأحلّ التقارب محلّ التباعد بل وفى الكثير من الأحيان جمع كل تلك الشعوب على صنيع واحد. وبهذا وذلك أثبت الإسلام أنه عدل كلّه وحكمة فى أحكامه وحدوده وأنه أبدى. « ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الآية (٢).

والدولة العثمانية التى نسبت إليها اللغة التركية وآدابها وعرفت باللغة العثمانية وأدب الديوان دولة إسلامية وحدت الشعوب الإسلامية وهى تتسع نحو الشرق والغرب، كما وحد قيام الخلافة الإسلامية العثمانية بعد فتح السلطان سليم مصر وامتداد الفتوحات العثمانية فى الجزيرة العربية وشمال

(١) أ.د. حسين مجيب المصرى: صلوات بين العرب والفرس والترك — المقدمة ص ٨.

(٢) نفس المرجع.

أفريقيا وإيران، العقيدة والفكر والانتاج العلمى، وأصبحت تنظر إلى جميع الشعوب الإسلامية نظرة سواسية بناء على تعاليم الإسلام: «لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى»، «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

فعليه أصبح اللغة والأدب الذى يعبر عن الفكر الإسلامى ووحديته لدى الشعوب الإسلامية التى تحكمها الدولة العثمانية هى اللغة العثمانية، اللغة التركىة المتأثرة بالفارسية والعربية والمكتوبة بالحروف العربية. وسمى أدبه بأدب الديوان الذى إرتبط شكلاً وقاعدة بالأسس الفكرية الإسلامية والتصوف الإسلامى - كما ذكرنا - ونظمه نوع من أشكال النظم الموزون البعيد عن لغة عامة الشعب التركى له طابعه الخاص المرتبط بالشكل والقاعدة والمثالية وله حسه وتصوره المحدود فى دنيا الشعر والخيال. علماً بأن شعر الديوان قيمته وبهاؤه وهناك كثير من شعر الديوان صيغ بأسلوب سلس واضح لاتعقيد فيه يتصف بالجمال الفنى والذوق الرفيع ويحوز القبول لدى أرباب العلم والأدب على مستوى عالمى.

إننى قد أكون أطلت الكلام أكثر من اللزوم، وإنى أمام كبار الأساتذة والعلماء وهم يعلمون جميعاً ما أقوله، وهو أمر نقرأه كثيراً ونطلع عليه فى الكتب التى تنقد الأدب، إذ لا أحد ينكر تأثر الأدب العثمانى بالأدب الفارسى وعن طريقه باللغة العربية. بل أقول تزواج الأديبن الفارسى والعثمانى على أساس أن للتركى أثر فى الفارسية ولو كان محدوداً بل الترك هم مشجعوا الأدب الفارسى والمساهمين فى رقيه وازدهاره دون تعصب فى العهد السامانى والسلجوقى والغزنوى والتمورى والعثمانى.. وهناك كثيرون من الترك نظموا الشعر وكتبوا النثر باللغة الفارسية بل كانوا رواداً فى أديها، ولكن تلك المعلومات كثيراً ماتأتى بصورة نظرية، وإنى هنا أجتهد أن أثبت هذا الأمر عن طريق ترجمة نماذج من الأديبن العثمانى والفارسى إلى الفارسية والعثمانية مع رعاية الأسلوب والوزن والقافية وعدم الإخلال بالمحسنات البديعية قدر المستطاع، كما أقوم بترجمة تلك النصوص إلى العربية نشرأ لإفادة القارئ العربى الغير متخصص فى اللغة الفارسية والتركىة - والله ولى التوفيق.

١ - لنبدأ بترجمة بيتين للشاعر العربي فتیان الأسدی الشافوری ، وهو من شعراء القرن الثاني عشر الميلادي : يقول الشاعر :

الورد بوجنتيك زاه زاهر      والسحر بمقلتيك واف وافر  
والعاشق في هواك ساه ساهر      يرجو ويخاف ، فهو شاك شاكر

وقد تمّت بترجمته إلى الفارسية قائلاً :

گل بررخسار تو زاهی زاهر      سحر بر مژگان تو وافی وافر  
عاشق زعشق تو ساهی ساهر      در خوف ورجا است ، شاکي شاكر

وإلى التركية العثمانية :

گل رخسارکده زاهی زاهر      سحر مژگانکده وافی وافر  
عاشق عشقکله ساهی ساهر      خوف ورجاده ، شاکي شاكر

٢ - والشاعر الإيراني الكبير حافظ الشيرازي يقول في غزل له :

الترجمة العثمانية

النص الفارسي

گل بی رخ یار خوش نباشد      بی باده بهار خوش نباشد  
طرف چمن وطواف بُستان      بی لاله عذار خوش نباشد  
رقصیدن سرو و حالت گل      بی صوت هزار خوش نباشد  
بی صوت هزار خوش نباشد      با یارِ شکر لبِ گل اندام  
با یارِ شکر لبِ گل اندام      بی بوس و کتار خوش نباشد  
بی بوس و کتار خوش نباشد      جان نقد محقر است «حافظ»  
جان نقد محقر است «حافظ»      از بهر نثار خوش نباشد  
از بهر نثار خوش نباشد

أما الترجمة العربية نثرا للإفادة لا المقارنة كالآتي :

لا يخلو الورد دون وجه الحبيب      ولا يخلو الربيع دون نبض الزبيب  
إن طرف المرح وطواف البستان      لا يخلو دون عذار شقایق النعمان

إن رقص السرو وحالة الورد لا يخلوون دون صوت البلبل  
والخلوة مع حبيبة ذات شفة سكرية وقامة وردية لا تخلو دون قبلة  
إن الروح لعملة حقيرة يا حافظ فلا تخلو ولا تلتق للنشار والفداء

٣- ولناخذ غزلاً موشحاً لاسم أحمد للشاعر العثماني محيي الكلشي  
المتوفى ١٠١٢هـ / ١٦٠٤م ونحاول ترجمتها إلى الفارسية موشحاً بنفس  
الأسلوب والوزن والقافية يقول شاعرنا:

### الترجمة الفارسية

### النص العثماني

أى رخك آيينه گيتى نما اولدى رو يكله دل وجان پرضيا حالت عشقكدر جسمده روح حمد آكاکم عشقك ايتدى جانفزا مدحك ايتمكده ديلم قاصر بنم مهري نيجه مدح ايده ذره شها دايما سندن اومر بودل مدد درده درمان ايله لطف ايت دائما هرزمان ظلم ايلريديك محيي يه هاى ظالم جور كيله قددوتا	ای رخت آینه گیتی نما گشته از رویت دل وجان پرضیا حالت عشقت بود در جسم وروح حمد آنکه کرد عشقت جانفزا مدح تو گویم بتقصیر شدید کی تواند ذره مدح خور، شها دایما خواهد ز تو این دل مدد درد را درمان کن و لطف دایما هر زمان ظلم و ستم کردی باو از جفا باشد قید محیی دوتا
--	--

ای طرازی، صبر کن صبر جزیل

گر بخواهی رفع گردد این بلا

### الترجمة العربية:

يامن وجهك (خذك) مرآة تشاهد فيها العالم، إن القلب والروح قد  
امتلتا بالضياء بلقياك. إن حالة عشقك روح في جسمي، فالحمد  
لمن جعل عشقك مُحِياً ومنشطاً للروح. إن مدحك جعل لساني  
قاصراً. كيف يمكن للذرة أن تمدح الشمس أيها الملك. ودوماً يطلب  
هذا القلب الود والعون منك، فاجعل للآم علاجاً والطف دائماً. ولما  
كنت تظلم محيي في كل وقت، فيأبها الظالم، إن القامة قد انحنت

بجوارك . ياطرأزي ، اصبر صبيرا جزيلاً . إذا اردت أن يُرفع عنك هذا  
البلاء .

٤- والآن ولنشاهد ظرف التزاوج الأدبي بين اللغتين الإسلاميتين  
الشقيقتين الفارسية والعثمانية ونحن نتناول شعر الشاعر العثماني أحمد الداعي  
المتوفى سنة ٨١٥هـ/١٤١١م وذلك عن طريق ترجمته إلى اللغة الدرية:  
يقول شاعرنا:

### الترجمة الفارسية

### النص العثماني

أيا خورشيد مه بيكر	ايا خورشيد مه بيكر
جمالتي مشتري منظر	جمالک مشتري منظر
چه منظر، منظر طالع	نه منظر، منظر طالع
چه طالع، طالع أنور	نه طالع، طالع أنور

\* \* \*

جمالتي كرد جهان روشن	جمالکدن جهان روشن
زلهيات زمان گلشن	دودا غکدن زمان گلشن
چه گلشن، گلشن جنت	نه گلشن، گلشن جنت
چه جنت، جنت کوثر	نه جنت، جنت کوثر

\* \* \*

رويت شد آيت رحمت	يوز وکدر آيت رحمت
خودت باشي نشان قدرت	اوز وکدر مظهر قدرت
چه قدرت، قدرت صانع	نه قدرت، قدرت صانع
چه صانع، صانع أكبر	نه صانع، صانع أكبر

\* \* \*

ببردی از فلک شطرنج	فلک شطرنجني اوتدک
سعادت ملکتی پرگنج	سعادت ملکنی طوتدک

نه ملكت، ملكت دولت چه ملكت، ملكت دولت  
نه دولت، دولت قيصر چه دولت، دولت قيصر

° ° °

قپو كده قوللرك بيحد ولى كمتز قولك أحمد  
به در بارت بونزد بيحد مثال كمتزين أحمد  
نه أحمد، أحمد داعى چه أحمد، أحمد داعى  
نه داعى، داعى كمتز چه داعى، داعى كمتز

° ° °

طرازی کرد این ساغر چه شاعر، شاعر ترکی  
مهباز خامه شاعر چه ترکی، ترکی شکر

الترجمة العربية :

أيتها الشمس، ذات جسم قمرى (فضى) إن جمالك مشتري المنظر  
أى منظر؟ إنه منظر طالع من طالع أنور  
من جمالك، العالم ضياء ومن شفتك، الدهر روض  
أى روض، روض الجنة أى جنة، جنة الكوثر  
إن وجهك آية للرحمة وانت، مظهر للقدرة  
أى قدرة، قدرة الصانع أى صانع، الصانع الأكبر  
انك فزت فى لعبة شطرنج الفلك وامسكت بزمام مملكة السعادة  
أى مملكة، مملكة الدولة وأى دولة، دولة القيصر  
فى بابك عبادك دون حد وعبدك الأقل أحمد  
أى أحمد، أحمد الداعى أى داعى، الداعى الأحقر  
إن الطرازی قد أعد هذا الكأس من قلم شاعر ولا بأس  
أى شاعر، شاعر التركية أى تركية، تركية كالسكر!

٥- ولنجرب حظنا الآن مع الشاعر سليمان چلبى المتوفى ٨٢٥هـ/

١٤٢١م صاحب المنظومة المشهورة فى المولد النبوى المسماة بوسيلة النجاة..

نحاول ترجمة أبيات من هذا الأثر العظيم إلى الفارسية. ولا شك أنه يعتبر  
 باكورة للشعر العثماني وهو سهل ممتنع وأصيل يُضفي الروحانية والشاعرية  
 على حبه لنبي الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فيه تكرار لمقطع  
 شعر أكسب المنظومة روعةً وجمالاً وشهرةً وجلالاً والصلاحية للترنم به في  
 مناسبات شتى ولا سيما مناسبة المولد النبوي الشريف. يقول رحمة الله عليه في  
 وفاة الرسول:

### النص العثماني

### الترجمة الفارسية

الوداع اي جان جانان الوداع  
 الوداع اي ماه تابان الوداع  
 الوداع اي پادشاه عاشقان  
 الوداع اي سرور شاه جهان  
 الوداع اي بلبل باغ جمال  
 الوداع اي آشنای ذو الجلال  
 الوداع اي گوهر دُرّ یتیم  
 الوداع اي باعث نور عظیم  
 الوداع اي شاه سلطانم بنم  
 الوداع اي درده در مانم بنم  
 مصطفى دن عبرت آلك سزدخی  
 بیرمز قالمیستر تاكری حقی  
 هرنه چوق یشاریسه ده برکیشی  
 عاقبت اولمك درر آنك ایشی  
 آه الكدن موت سندن آه وآه..  
 نه گدا قور تلور الكدن نه شاه  
 هرکیم اوله عاقل ودولتلو ار  
 واعظ وناصح آکا اولوم یتر  
 گردیلر سز بوله سز اود دن نجات  
 عشقیله .. دردیله .. ایدك الصلات

فارسية لا تحتاج إلى الترجمة

الوداع اي شاه وسلطانم تویی  
 الوداع اي دردو در مانم تویی  
 از محمد مصطفى پندی بگير  
 کس نماند جاودان در دهر پير  
 هر قدر عمر دراز دارد بشر  
 عاقبت مردن بود، بی کروفه  
 آه زد ستت موت آه ووه زتو  
 نه گدا ناجی شود نه شه زتو  
 هرکه باشد عاقل ومردخرد  
 بهر وعظ وعبرتش مردن سزد  
 گر بخواهی در بیابی تونجات  
 از عذاب نار دوزخ در وفات

صلوتى گو بر محمد آل او

هم صحابه، تابعين أطهار او

الترجمة العربية:

الوداع يا قمر المضى الوداع	الوداع يا روح المحبوب الوداع
الوداع يا سيد ملك الآفاق	الوداع يا ملك العشاق
الوداع يا حبيب ذى الجلال	الوداع يا بلبل حديقة الجمال
الوداع يا باعث النور العظيم	الوداع يا جوهر الدر اليتيم
الوداع يا دواء آلامى ودائى	الوداع يا مليكى وسلطانى
فبحق الله، أحد منا لن يبقى	خذوا العبرة من المصطفى
فالموت فى النهاية هو مصيره	ومهما عاش أحد سنوات كثيرة
لم ينج منك مسكين ولا شاه (ملك)	آه منك أيها الموت، آه
فالموت يكفيه واعظاله وناصحاً أكيد	وكل من هو عاقل ورجل سعيد
قولوا بالحب والخشوع للنبي الصلاة	وإذا أردتم من النار النجاة

٦ - اسمحو لى أن انتقل الآن إلى رحاب الشاعر نوعى المتوفى سنة ١٥٩٥م الذى عرف فى عصره بكثرة البذل والعطاء والانتاج العلمى والأدبى باللغات الإسلامية الثلاث العربية والفارسية والتركية. ومع أنه لم يصل فى الشهرة والصيت كشاعر إلى مرتبة الشاعر باقى إلا أنه يشغل مكاناً بارزاً بين العلماء والشعراء المجيدين.

وله قصيدة رائعة تعرف بالقصيدة الدارية (قصيدة داريه)، انشأها فى وصف قصر أنشئ حديثاً، يبدأ الشاعر بأسلوب إنشائى أدبى استفهامى الذى يتميز باعطاء الكلام حيوية ويزيد من الاقناع والتأثير به وذلك لما فيه من إثارة للسامع وجذب لانتباهه ومن اشراكه فى التفكير ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يُملى عليه. ثم يصف القصر وصفا تفصيلياً رائعاً بخيال شاعرى يتمتع بالاستاذية فى اختيار اللفظ واستخدام البلاغة بفروعها الثلاث: المعانى والبيان والبديع حسب مقتضى الحال مع التمسك بالإيجاز فى التعبير.

ومع أن شاعرنا يباليغ في استخدام الكلمات الفارسية وبعض الكلمات العربية إلا أن القصيدة تستطيع أن تكون نموذجاً رائعاً للأدب العثماني والتزاوج الأدبي بين الأدبين الفارسي والعثماني.

يقول شاعرنا :

الترجمة الفارسية

النص العثماني

قصر جنت می بو، یا باغ ارم یا گلستان = قصر جنت یا ارم یا باغ فشنگ گلستان	قصر جنت می بو، یا باغ ارم یا گلستان = قصر جنت یا ارم یا باغ فشنگ گلستان
یا حرم قدس یا بیت الحرم یا آسمان؟	یا حرم قدس یا بیت الحرم یا آسمان؟
آسماندر گرچه اما آسمان باثبات	آسمانست گرچه اما آسمان باثبات
گلستاندر گرچه اما گلستان بی خزان	گلستانست گرچه اما گلستان بیخزان
سایهٔ سقف هما یونی هما به جلوه گاه	سایهٔ سقف هما یونش تجلی گاه دوست
طرة طاق سرا فرازی سپهره سایه بان	طرة طاق فرازش بر سپهر است سایبان
وسعتِ ابو انکک بُعدی وراى شش جهات	وسعت ایوان زبُعدش وراى شش جهات
فسحت میدانک مر حدی، حد لا مکان	فسحت سر حد میدانش، حد لا مکان
هرستونی جایجا ارکان دولتدر مکر	هرستونش جایجا ارکان دولت هم حشم
برایاغ اوزره طور رخدمتده دامن درمیان	پابه برجا، دست بردست و دامن درمیان
صنعت ابیات موزونن گورن و صافلر	شاعر انیکه بوند شاهد عیان طبع شعر
هربری ابکار افکارین گتورمش ارمغان	هریکی بروی کندا بکار افکار ارمغان
پرتومشکاتی بیت انوری دن مقتبس	پرتومشکات اوچیده زبیت انوری
جامنک مصر علری دیوان جامی دن نشان	مصرع جامش ز دیوان جامی یک نشان
یا پدیلر بر طاق عالی، قوردیلر بر بزه خاص	ساخندیک طاق عالی، برفگندند بزم خاص
کم رواق چارمین اول بزمه اولمز شمعدان	که رواق چارمین لایق نباشد شمعدان
آفتاب اول بزم خاصه گیر مکه یول بولیوب	آفتاب بر بزم آورده در نیابد از درش
روز نندن دوشمکه ایلر شعاعن ریمان	میکنند از روزه داخل شعاعش ریمان
قصرینه یول بولغه شبرولک ایلر گرچه ماه	ماه گرچه در طریق قصر شبا خون میزند
کنکر ایواننه ایرمز کمند کهکشان	چار و ناچار در برون ماند، کمند کهکشان
ای نظام الملك آصف منقبت یوسف لقا	

زبده اهل زمین چشم و چراغ آسمان  
 حضرت پاشای روشن رای گردون احتشام  
 لا يحتاج للترجمة لأنها فارسية  
 صاحب تدبير پير ومالك بخت جوان  
 آستانكدر همای دولتک منزلگهی  
 آستانت منزل عنقای دولت هم هما  
 گرچه کم مشهور در اولمز همایه آشیان  
 گرچه مشهور است نباشد برهما هیچ آشیان  
 نوعی به لطف ایت ، معین اول کم ظهر وقت اوله  
 لطف کن بزوعی وبار طرازی هم بشو  
 باقی بی سلطان سلیمان ابتدی سلمان زمان  
 تاظهر وقت گردد باجوباقی جاودان

والتترجمة العربية لبعض أبيات هذه القصيدة مع التصرف البسيط مراعاة للجمع  
 كالآتي :

أهو قصر الجنة أم حديقة أرم او روضة غناء  
 أو حرم القدس او بيت الحرم أو السماء ؟  
 انه السماء ، سماء لها الثبات  
 أنه الروض ، ولكنه روض بلا خريف وفناء  
 فظل سقفه المبارك مكان لتجلى لها (الها : طائر اسطوري مبارك)  
 وطرة طاقه العالی مظلة للسماء  
 سعة ايوانه وبعده وراء الجهات الست  
 وفسحة حدود ساحته متمسة كالهواء  
 كل عمود له في مكانه كأركان الدولة  
 الواقفين على الأرجل مستعدين للخدمة والفداء .  
 إن من قاموا بوصف روعة أبياته الموزونة ، قالوا :  
 إن كل واحد قد أتى بهدية من أبتكار أفكار العظماء !  
 فإن ضياء مشكاته مقتبس من شعر الأنورى  
 ومصرع زجاجة من ديوان الجامى منتقاء  
 إنهم بنوا طاقاً عاليا وأقاموا مجلساً خاصاً  
 لا يستطيع أن يكون له شمعداناً رابع السماوات للضياء  
 الشمس لا تجد الطريق للدخول إلى ذلك المجلس الخاص  
 فتجعل أشعتها حبالاً لتنزل من نافذته تاركة الكبرياء

أما القمر يسلك الطريق كسارق الليل ولكن

شبكة للقنص لا تصل إلى سقف الديوان، فليحاول ما يشاء!

الخ....

٧- والآن، ننتقل إلى عهد ازدهار ورقى الأدب العثماني. إلى القرن السادس عشر الميلادي حيث لمع نجم كثير من الشعراء المجيدين أمثال باقى وفضولى وزاع صيتهم فى أرجاء العالم واعترف الجميع من نقاد الشرق والغرب أنها أعجوبة الدهر والأوان وشعرهما نموذج رائع لأساليب البيان.. نختار فضولى أشهر شعراء الزمان الذى يتنافس مع زميله باقى فى امارة الشعر بين شعراء الديوان، له غزل مشهور يشكو فيه عما يدور فى عصره الذى صورّه بخيال شاعرى خصب لا خلاف فيه ولا قول الزور، أما لفظه فسهلٌ حسنٌ الوقع والمعنى مسلسلٌ مطرد، لا يحتاج إلى جهد ممل للذهن ولا إطالة للتأمل والكد، وقد أثنى عليه جمهور العلماء والنقاد واعتبروه أشهر شاعر غزل على رؤوس الاشهاد. انه رائعة ضمّنت كثيراً من فنون البلاغة مع أنها حوت عدداً كبيراً من كلمات وتراكيب فارسية استخدمت فيها الألفاظ التركية بلهجة آذرية كأداة ظرف وربط أو فعل كماله للجملة.

ولا عجب فى ذلك، وفضولى شاعر الوحي والطبيعة والابتكار، له يد طولى فى اللغات الاسلامية الثلاث العربية والفارسية والتركية، يتكرر عندما يكون مغلوباً لوجدانه ويقلد دون أن يترك لغيره فرصة تقليده عندما يكون تابعا لأفكاره، لا يهتم للبديع وهو ملهم بوجدانه ويتمسك بفنون البلاغة وهو يكتب الشعر بفكره وسجيته، ورسالة «شكا يتامه» نموذج رائع للنثر العثماني تجمع بين وجدانه وفكره إذ يصف الحالة الاجتماعية فى زمانه أحسن وصفٍ بأبلغ تعبيرٍ وأفصحه.

يقول شاعرنا فى غزله المشهور:

الترجمة الفارسية

النص العثماني

دوست بى پروا، فلک بى رحم، دوران بى سکون  
درد جوخ، همدردیوخ، دشمن قوی، طالع زبون  
سایه امید زایل، آفتاب شوق گرم  
دوست بى پروا، فلک بى رحم، دوران بى سکون  
دردبیش از حد خود، دشمن قوی، طالع زبون  
سایه امید زائل، آفتاب شوق گرم

رتبه ادبار عالی، پایه تدبیر دون عقل دون همت، صدای طعنه بر بردن بلند  
 بخت کم شفقت، بلای عشق گون گوندن فزون  
 من غریب ملک، راه وصل پرتشویش و مکر  
 من حریف ساده لوح و دهر پرنقش و فسون  
 هر سهی قد جلوه سی بر سیل طوفان بلا  
 هر هلال ابرو قاشی بر سر خط مشق جنون  
 یلده برك لاله تك تمكين دانش بی نبات  
 صوده عكس لاله تك تأثیر دولت وازگون  
 سرحد مطلوبه پرمحنت طریق امتحان  
 منزل مقصوده بر آسب راه آزمون  
 شاهد مقصد نوای چنك تك برده نشین  
 ساغر عشرت حباب صاف صهبا تك نگون  
 تفرقه حاصل طریق ملك جمعیت مخوف  
 آه بیلمن نیلیم یوخ بر موافق رهنمون  
 چهره زردین فضولینك طونوبدر اشك آل  
 گور آكا، نه رنگلر چكش سپهر نیلگون

وین طرازی کزغم دوران سوخته سینه اش

ترك مین کرده از ظلم عدو خوار خون

وترجمته العربیة :

الصدیق لایبالی والفلک لایرحم والزمن لاسکون له  
 الآلام کثیرة، ولا یوجد مواسی، والعدو قوی والطالع منکوس  
 ظل الأمل زائل، وشمس الشوق حارقة  
 ورتبة الادبار (التعاسة) عالیة ودرجة التدبیر ضعیفة  
 والعقل قلیل الهمة وصوت الطعن مرتفع فی کل مکان  
 والحظ قلیل الشفقة، وبلاء الحب یزداد یوماً فیوما  
 إننی غریب الدیار وطریق الوصل ملئ بالتشویش والمکر

إننى منافس سذج ، والدهر ملئ بالحيل والسحر  
 إن تجلى كل صاحب قد رشيق لهو على سيل لطوفان البلاء  
 وحاجب كل من هو هلالى الحاجبين لهو لوحة مشق للجنون  
 ورقة الشقائق وحيدة أمام الريح ولا ثبات للمعرفة والتمكن منها  
 وصورة الشقائق فريدة على الماء وأثر السعادة فيها مقلوب  
 طريق الامتحان للوصول إلى المقصود ملئ بالحن  
 وكيف يمكن لى أن أصل إليه وطريق الاختبار ملئ بالأذى  
 والمحجوب المقصود جالس لوحده بين الأستار مثل لحن الربابة  
 أما كأس العشرة منعكس ومقلوب كحجاب الصهباء الصافية  
 التفرقة حاصلة ، وطريق مُلك المجتمع شىء مخيف  
 آه ، لا أدرى ، ماذا أصنع ؟ إذ ليس لى دليل مرشد  
 اما وجه «الفضولى» المصفر فلى بالدموع الدامية  
 انظر إليه .. أى ألوان خطها عليه الفلك الأزرق ؟  
 و«الطرازى» هذا الذى احترق صدره من هموم الزمان  
 قد ترك الوطن ، من ظلم عدو سفاك للدماء

٨ - وختاماً يسعدنى أن أختم الصحبة بترجمة فقرات من تضرعات سنان  
 پاشا رائد النثر العثمانى حتى تنتهى الصحبة بالثناء والدعاء ليدوم اللقاء  
 والبذل والعطاء بين أحبة هم فى ركب العلم أشقاء ، وأكون قد قدمت  
 أيضاً نموذجاً من النثر العثمانى المتأثر بالأدب الفارسى ، وسنان پاشا هو أول  
 من اقتبس فى زمانه فى التركية من الآداب الشرقية وقلدها بصورة لا يمكن  
 الاحساس بتقليده لها .

يقول رحمة الله عليه وأرضاه فى تضرعاته التى قيل إنها تقليد لمناجاة  
 الصوفى عبد الله الأنصارى :

الترجمة الفارسية

النص العثمانى

الهى - برمبدعك كه عدم خزانة الهى - تومبدعى كه عدم خزانة ابداع نواست  
 ابداعكدر ، برموجد سك كه يوقلق وسيلة موجدى كه نبستى وسيلة اختراع نواست  
 اختراعكدر . عقل دوربين افق ذروه عقل دوربين افق ذروه كمال رانتواند ديد

كما لكى گسره مز، وهم تبریردا من سرداق  
 جلالکه ابره مز، نسر طائر خاطر انسانی  
 که هر وقت موجودات علوی و سفلی شکار  
 مخلص و منقاریدر، بر نفس ربوبیتک هوا  
 سنده پر آچوب اوچه ماز، و طاووس عقل  
 و فکرت آدمی که روز شب فضای ملکوت و  
 صحرای جبرونده جلوه سازد بر قدم الوهیتک  
 ساحة سنده سیاحت ابده مز، بر علم سک  
 که علمکه غایت بوق، بر قدیر سک که قدر  
 تکه نهایت بوق. قد بيسک، عقول متقدمین  
 و متأخرین دائرة قدم مکة قدم باصه ماز سک  
 سک، حکمای اولین و آخرین حکمت معرفتک در  
 بر معشوقسک که عشقک هوا سنده افلاک  
 چرخه گبروب اونار، بر محبوبسک که شوقک  
 دردندن بوتون گون آسبای چرخ ابلر.  
 چرخ نالد.

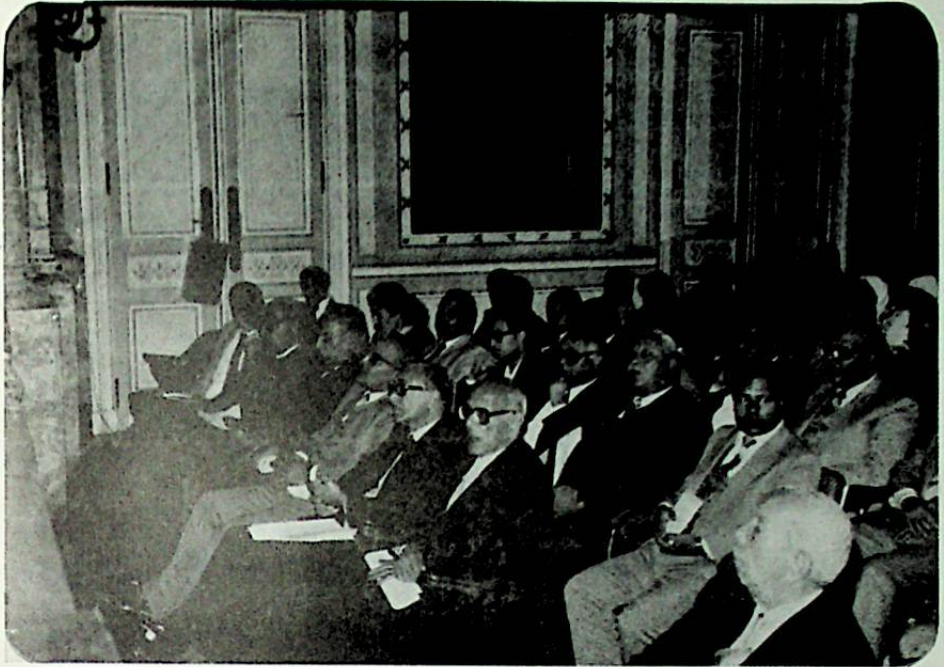
الترجمة العربية :

إلهی .. أنت مبدع والعدم خزانه ابداعك . أنت موجد والعدم وسيلة  
 اختراعك . إن العقل البعيد النظر لا يستطيع أن يرى أفق ذروة كمالك ،  
 والخيال السريع الجناح لا يستطيع أن يصل إلى أذيال سرداق جلالك . إن  
 النسر الطائر للخاطر الانسانی الذى يصطاد بمخلبه ومنتقاره الموجودات العلوية  
 والسفلية لا يستطيع أن يبسط جناحيه ويطير فى أجواء ربوبيتك ولو لحظة ،  
 وطاووس عقل وفكر الآدمی الذى يتجلى ليل نهار فى فضاء الملكوت  
 وصحراء الجبروت لا يستطيع أن يخطو خطوة ويحول فى ساحة ألوهيتك .  
 إنك عليمٌ ولا غاية لعلمك و قدیر لا نهاية لقدرتك . قديم لا تستطيع عقول  
 المتقدمين والمتأخرين أن تضع قدماً على دائرة قدمك ، حكيمٌ لا يستطيع  
 حكماء الأولين والآخريين (الجدد) أن يتفوهوا بكلمة عن حكمة معرفتك .  
 إنك معشوق تدور الأفلاك فى مجال عشقك ، محبوب تُنُّ طاحونة السماء طوال  
 اليوم من آلام اشتياقك ! ...

رابعاً: أبحاث حول تاريخ المشرق الإسلامي  
- التوصيات -

٣١٥

وقد تمت السيطرة الضيقة اللازمة على  
تركستان الوسطى في ظل النظام الجديد  
وهذا كله



جموع الأساتذة وكبار الشخصيات والسفراء والطلبة والطالبات الذين حضروا  
جلسات الندوة.

## لمحات من تاريخ تركستان

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد متولى وكيل كلية الآداب بجامعة عين شمس ورئيس قسم اللغة التركية

تعتبر تركستان موطن الترك، وتمتد من بحر الخزر ونهر أورال غرباً إلى حدود التبت ومنغوليا والصين شرقاً وسيبيريا شمالاً وإيران وأفغانستان جنوباً.

وتحتوى على أقاليم بلاد ختن وكاشغر وما وراء النهر والصغد وخوارزم وجزء من خراسان وبدخشان وبامير.

وأهم القبائل التركية القاطنة فى تركستان حسب الكثافة السكانية: القازاق والأوزبك والقرغيز والترکمان والقاراقالپان.

وقد وفد على تركستان أيام الفتح الإسلامى وبعده أكثر من ٧٢ ألف نسمة من العرب، واستقروا هناك وترکوا، وأصبحوا يتكلمون باللغة الجفتائية (الأوزبكية) والتاجيكية.

وإذا أردنا أن نقدم احصاء للسكان التركستانيين، وجدنا الأمر جد شاق فقد سيطر التنين الأصفر على تركستان الشرقية وسماها سنكيانغ أى (الولاية الجديدة)، واجتاح الدب الروسى الأحمر تركستان الغربية ودعاها جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية. ولا يخفى على أحد البطش الشيوعى فى شطرى تركستان وكبت شعبها وکتم المعلومات وتزيف الحقائق عن مجاهديها.

وقد تمت السيطرة الصينية الكاملة على تركستان الشرقية سنة ١٩٤٩ أما تركستان الغربية فقد تم للروس السيطرة الكاملة عليها سنة ١٩٢٣. وقد أباد

قطبا الشيوعية الحمراء حوالى خمسة ملايين من التركستانيين خلال فترات السيطرة على تركستان. واضطر أربعة ملايين من أفراد الشعب إلى الهجرة إلى البلاد الإسلامية والغربية أمام البطش الأحمر.

وعلى أية حال فالتعداد الذى أعلنه الروس سنة ١٩٣٩ لتركستان الغربية يبلغ ١٧,٦٣٦٧٦٠ نسمة، وتركستان الشرقية ١٣ مليون نسمة.

وبعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ قسم السوفييت تركستان الغربية إلى خمس جمهوريات تعرف بجمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية وتم الغاء اسم تركستان.

بدأ استيلاء الروس على بعض الأجزاء من سنة ١٨٦٤م إلى سنة ١٨٨١م وقد بدأت مقاومة شعب تركستان الغربية للاحتلال الشيوعى الروسى تشتد عندما أعلنت ثورة أكتوبر ١٩١٧ وحتى تم للروس القضاء على كل مقاومة فى سنة ١٩٣٢.

### الفتح العربى لبلاد تركستان

قبل دخول الترك فى الإسلام، كانت لهم صلات وعلاقات بالعرب نوجزها فيما يلى:

لم تكن علاقات الترك بالعرب علاقات مباشرة قبل الإسلام. لقد بدأت العلاقات بين الطرفين من خلال الامبراطورية الساسانية لبعده المسافة بين العرب والترك.

ففى عهد هرمرز الرابع اشتركت عناصر من العرب فى الحرب التى ادارها قائده بهرام چوبين سنة ٥٨٨م ضد خافان الكوك تورك باكاخافان. ثم توالى العلاقات والصلات بعد ذلك من خلال الساسانيين ونرى صدى هذه الصلات واضحاً من خلال الشعر الجاهلى. فقد ذكر شعراء الجاهلية أمثال حسان وحنظلة والنابغة الذبياني وأوس بن حجر والشماخ بن ضرار عساكر الترك مشيدين بطولاتهم.

وهكذا نرى أن الصلات بين العرب والترك قبل الإسلام كانت صلات

تغير مباشرة من خلال الساسانيين. ولم تبدأ الصلات بين الطرفين مباشرة إلا  
يوم الفتوحات العربية فيما وراء النهر.

وفى عهد الخلفاء الراشدين، بدأت العلاقات والصلات فى عهد عمر بن الخطاب فبعد أن هزم يزيدجرد امام العرب فى معركة نهاوند سنة ٢١ هـ (٦٤١م)، ولم يتمكن من ايقاف تدفقهم على بلاد فارس بقيادة الأحنف بن قيس، استنجد بخاقان الترك فيما وراء النهر. نهض خاقان الترك لمساعدة يزيدجرد بمجنود من أهل فرغانة والصغد وتوجه ومعه يزيدجرد إلى بلخ للقاء العرب. ولم يتمكن الأحنف من الصمود أمام هذه الحشود الهائلة، فترجع عن بعض المناطق فى بلاد فارس أما خاقان الترك فقد انسحب من ميدان المعركة بعد ذلك. ويقال انه انسحب لعلمه بحشود صينية على حدوده فيما وراء النهر، او لأنه وجد أنه لا قبل له بالعرب على حد قول الطبرى.

وفى عهد عمر بن الخطاب اجتاز العرب النهر، وتقدموا فيما وراءه فى المناطق الداخلية وقد تغيرت خريطة الحدود فى عهد عمر، واتسعت رقعة الديار الإسلامية بمجوده المكثفة التى بذلها فى بلاد الفرس والترك وفيما وراء النهر، حتى بلغت حدود المسلمين بلاد قفقاسيا.

وقد اصطدمت جيوش المسلمين بالترك الموجودين فى مناطق خراسان وما وراء النهر وطخارستان واستمرت هذه المصادمات مدة طويلة.

وبعد معركة نهاوند سنة ٦٤١م، فتح طريق خراسان وطخارستان أمام القوات الإسلامية بعد أن تم فتح شرق إيران. وبعد أن دخل الأحنف بن قيس قائد مقدمة قوات عبدالله بن عامر خراسان، فتح هراة ونيسابور وسرخس ثم سار نحو مرو. هكذا فتح الأحنف خراسان، واستقر فى مرو.

وبعد أن استشهد الخليفة عمر حدثت اضطرابات وقلقل فى مناطق خراسان وطخارستان وفقد المسلمون بعض المدن الهامة فى هذه المناطق. وخلال الفترة من سنة ٦٥٠م إلى سنة ٦٨٠م تمكن عبدالله بن عامر من استعادة المدن التى فقدت وتأكيده الحكم فى المناطق التى فتحت من قبل، كما تذكر المصادر التركية.

وفى أواخر عهد الخليفة عثمان وفى عهد الخليفة على فقد المسلمون خراسان وطخارستان بمثل السرعة التى فتحت بها هذه المناطق بسبب القلاقل الداخلية بل ان الفتوحات توقفت تماماً .

وهكذا، ورغم ما بذله العرب من جهد لفتح بلاد ما وراء النهر فى عهد الخلفاء الراشدين، فقد كان تقدمهم بطيئاً، وكانوا يواجهون مقاومة شديدة من سكانها الترك .

وهكذا رأينا أن العرب والترك أصبحوا وجهاً لوجه بعد سقوط الدولة الساسانية ومع بدء الهجمات على خراسان وما وراء النهر وطخارستان بدأت العلاقات العسكرية بين العرب والترك، واستمرت طوال قرن من الزمن فى شكل صدامات عنيفة ...

اجتهد الحجاج بن يوسف الثقفى بعد أن تولى حكم العراق سنة ٧٥ هـ (٦٩٤م) من قبل الوليد بن عبد الملك إلى اخاد القلاقل والاضطرابات المنتشرة فى المناطق التابعة للعراق فيما وراء النهر، وأعاد فتحها مرة أخرى .

كلف المهلب بن أبى صفرة وكان ادارياً وقائداً ناجحاً لمنطقة خراسان بفتح نرمان والقضاء على سرمد الترك فيها سنة ٧٨ هـ (٦٩٧م) وقد نجح المهلب فى ذلك ثم تقدم نحو مرو . إلا أنه لم يتمكن من فتح كاش رغم حصاره لها الذى امتد لفترة عامين اثنين، وباء بالفشل، ثم قفل راجعاً . ومات وهو فى طريق العودة عند بلدة مرو سنة ٨٢ هـ (٧٠٢م) . ثم تولى ابنه يزيد مكانه . وقد قام يزيد ببعض المعارك فى المناطق التى تشمل خوارزم وباجيس وفرغانة . وقد أدى هذا الفشل إلى غضب الحجاج على يزيد، فعزله وحجسه لإثارته الفتن والقلاقل بين القبائل أيضاً .

ثم تولى حكم خراسان فيما بعد أى ٨٦ هـ (٧٠٥م) قتيبة بن مسلم وهو يعتبر الفاتح الحقيقى لمنطقة ما وراء النهر، ويعزى إليه الفضل فى نشر الإسلام فى هذه المناطق بين قبائل الترك وعندما تولى قتيبة بن مسلم حكم منطقة خراسان كانت هناك مخاطر كثيرة على حدود منطقة خراسان وأخطر

هذه المخاطر كانت فى منطقتى طخارستان وما وراء النهر. وكان الترك يشكلون الغالبية العظمى من سكان منطقة خراسان فى ذلك الوقت. ولم يكن هؤلاء الترك تحت زعامة قائد واحد، ولكنهم كانوا عبارة عن بكويات (امارات) صغيرة متناثرة يحكمها أمراء عديدون. ولم تكن بينهم وحدة سياسية على أى مستوى، مما سهل مهمة الجيوش الإسلامية عندما تحركت لفتح هذه المناطق.

وقبل أن يتحرك قتيبة خراسان، تحرك نحو بلخ للتأكد من سلامة الموقف فى طخارستان لتأمين هذه المنطقة. إلا أن حاكم طخارستان جنح إلى السلم حقناً للدماء. ويقال أن حاكم طخارستان كان تركى الأصل يدعى نيزك طرخان ولما رأى قتيبة هذا من شجاعة الحاكم التركى وفطنته، عاد إلى بلخ.

هذا، وعندما نأتى إلى ذكر قتيبة بن مسلم وفتوحاته وبطولاته العديدة وكفاحه لنشر الإسلام، نحس بالفخار والمباهاة، نحس بعظمة من تقانوا فى خدمة الإسلام والمسلمين. ولن نستطيع التفصيل فى حديثنا هذا عن بطولات القائد العظيم قتيبة فبطولاته تملؤ كتباً كثيرة وكفاحه طويل وشاق. وحسبنا من ذلك أن نوجز بقدر الامكان. وطمق قتيبة الحكم الإسلامى فى وراء النهر، وفتح بعض البلاد الأخرى كبيكند وبخارى وسمرقند وفرغانة والشاش (أى طشقند) وكاشغر، حتى صار على حدود الصين..

كان الإسلام خاتم الديانات التى وفدت على الترك فى آسيا الوسطى. وقد وقعت أهم الانتصارات التى أحرزها الإسلام والعرب فى مواطن الترك بين سنتى ٨٦هـ، ٩٦هـ (٧٠٥، ٧١٤م)، وهى الفترة التى حكم فيها قتيبة بن مسلم بلاد خراسان فقد كان الإسلام رغم مقاومة الأتراك المعروفين بـ(توكيو) يتقدم فى اتجاه الشرق.

كان سكان سمرقند وبخارى يقاومون العرب على صورة اضطر معها العرب إلى حمل أسلحتهم فى الأماكن العامة وفى داخل المساجد، ولكنهم

مع ذلك كانوا يؤلفون قلوب الترك فكانوا يمنحون درهين لكل تركى فى كل مرة يذهب فيها إلى المسجد كما سمحوا بقراءة القرآن باللغة الفارسية بدلاً من العربية حتى يستطيعوا جميعاً فهمه فى سهولة ويسر.

ومن الجدير بالذكر أن قتيبة بن مسلم لما وفد على سمرقند وجد هناك كثيراً من الأصنام كان عبدتها يعتقدون أن كل من أثار تعرض للموت. على أن الفاتح المسلم لم يأبه بهذه المخاوف التى أثارها تلك الخرافات، ومن ثم لم يحجم عن إحراق الأصنام. وكان من أثر ذلك العمل أن دان بالإسلام عدد كبير من الناس.

ولم تتوقف حركة الفتح الإسلامى بموت قتيبة بن مسلم، بل استمر فيها الذين خلفوه فى حكم خراسان، وتوطدت أقدام العرب فيما وراء النهر. وفى سنة ١٢٥هـ توفى هشام بن عبد الملك وتضعف مركز الخلافة. فأقام «نصر بن سيار» فى خراسان وأقلع عن غزواته فيما وراء النهر خوفاً من القلاقل والفتن. ثم ظهرت دعوة بنى العباس وانتهت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية فى سنة ١٣٢هـ (٧٤٩م) وبانتهاء الدولة الأموية انتهت الفتوحات الإسلامية التى وصلت حدودها فى الشرق إلى الصين وفى الغرب إلى الأندلس.

وهكذا نرى أن الدولة الأموية بذلت جهوداً جبارة فى مناطق كثيرة فى الشرق والغرب ونشطت فى عهدها الفتوحات الإسلامية، وبلغت الذروة. وقد ساهم الأمويون فى نشر الدعوة الإسلامية وأخلصوا فى نشرها وبذلوا جهوداً مكثفة حتى وصل الإسلام إلى حدود الصين وإلى الأندلس - وقد كان القائد العظيم قتيبة بن مسلم أهم الفاتحين الإسلاميين فى عهد الدولة الأموية. فبجهوده وذكائه وفطنته انتشر الإسلام بين كثير من مناطق خراسان وما وراء النهر.

أخذ الإسلام يتقدم فى عهد بنى أمية إلى أن جاء العصر العباسى، وعصر المأمون بوجه خاص ١٩٨-٨١٨ (٨١٣-٨٣٣م)، فزاد دخول الترك فى الإسلام، إذ كان المأمون يدعو أعيان الترك ويخلع عليهم الخلع، ويقدم

لهم الهدايا فلما كان عهد المعتصم ٢١٨-٢٢٧ هـ (٨٣٣-٨٤٢ م) كانت غالبية الترك قد أسلمت، ثم زاد تدافعهم على بغداد للانخراط فى سلك الجيش بعد أن أنتصر عليهم. وظل الأتراك يدخلون فى الإسلام إلى منتصف القرن العاشر الميلادى. وكان الأعيان إذا أسلموا أسلم أتباعهم معهم. ومن كبار من أسلموا فى ذلك الوقت ساتوق بغراخان مؤسس دولة ايليك خان، فقد أسلم معه قومه وهم ألفا أسرة. وكذلك أسلم سلجوق رأس الأسرة السلجوقية وأسلمت قبيلته فى بداية القرن العاشر.

استخدم الترك على نطاق ضيق فى الجيش وفى الإدارة منذ العصر الأموى. وقد بدأ تسربهم إلى بعض البلاد العربية - خاصة الشام والعراق - منذ أن احتك العرب بهم فى أواسط آسيا زمن الفتوحات العربية. وأول من اعتمد على الترك بشكل واسع بعد ذلك هو الخليفة العباسى المعتصم، ليوافقهم الفرس والعرب على حد سواء، خاصة وأن هذه القوات التركية كانت بدون جذور محلية، مما جعل ولاءها متجهاً بالدرجة الأولى نحو السلطة المركزية. وقد بلغ من اهتمام الخليفة العباسى المعتصم بالترك أن بنى لهم مدينة سامرا.

### جهود الأتراك فى نشر الإسلام

تأثر الترك بالإسلام وأثروا فيه عملاً وعلماً - فساهموا فى ذلك الواجب بنصيب موفور ليس فى بلادهم فقط بل خارج حدودهم فقام دعواتهم بنشر الإسلام فى بلاد التبت وبين اخوانهم المغول بهضاب (مغولستان) أى منغوليا كما أسلم على أيديهم عدد كبير من بلاد الصين.

ولم تقف جهود الدعاة الترك عند هذا الحد فقد اتصلوا بالترك البلغار وسواحل نهر فولجا (ايتل) ووصلوا إلى بولندا واستونيا كان لهم أثر بالغ فى نشر الإسلام بين الكثير من أهلها.

وقد خلد التاريخ الإسلامى السلطان محمود الغزنوى الذى كان لفتوحاته فى الهند صدى عظيماً فى العالم الإسلامى. فقد حطم هذا السلطان التركى

معاقل الشرك والوثنية ودك حصون الكفر ونشر دين التوحيد فى ربوع الهند فدخل الإسلام الملايين تلو الملايين من الهند، كما أن التركستانيين لم يقفوا عند حد الجهاد بالغزو أو الجهاد بالدعوة بل أيضاً أقبلوا على الدرس والتحصيل، واجتهدوا فى البحث والاستقصاء وكان منهم فى هذا الميدان قادة علم وحمة للواء العلم والدين، والتاريخ سجل العديد من أسماء العلماء الأتراك وأشاد بجهودهم وما كان لهم من أقدام راسخة فى خدمة الدين ورفع شأنه.

ولا شك أنه كان للترك عبر التاريخ السياسى للدولة الإسلامية دور كبير ووضع، فالسجل حافل بأعمال السلاجقة والاتابكة والسامانيين والخاقانيين والغزنويين والمماليك والعثمانيين والشيبانيين والاسترخانيين والمنغينيين وغيرهم.

فقد حارب ملوك تلك الدول ضد الوثنيين والصليبيين وكانوا الحمى لبلاد الشرق والأمة الإسلامية من أخطار المغول الوثنيين ثم كان لهم الفضل بعد ذلك فى دخولهم الإسلام.

## إسهامات علماء تركستان

### فى التراث الإسلامى

ومع أن إسهامات الأتراك فى التراث الإسلامى حسب ما زعمه محمد طاهر البروسوى كثيرة جداً وتصل نسبتها إلى ثلث مؤلفات المسلمين من سائر الشعوب الإسلامية، وهذا إذا أخذنا فى الاعتبار علماء سلاجقة الروم والدولة العثمانية - إلا أننى أذكر هنا مجموعة قليلة من علماء تركستان فقط كشاهد على غيرة علماء تركستان وحماهم لاثراء التراث الإسلامى وخدماتهم التى قدموها للإنسانية آملاً أن يتذكر العالم الإسلامى تركستان الإسلامية ومجدها التاريخى، تركستان التى أنجبت الإمام أحمد بن حنبل وثلاثة من أصحاب الصحاح الستة، والفارابى وابن سينا والبيرونى والزمخشري وغيرهم كثير تركستان التى يعيش شعبها الأبي المسلم منذ ست وستين عاماً تحت نير الحكم الشيوعى الذى يحلم أن يجعلها روستان الشيوعية.

هذا... ونذكر هنا نبذة من هؤلاء العلماء العظام - حسب فروع العلم  
والمعرفة قصراً واختصاراً (١).

### ١ - من كبار الصوفية:

إبراهيم بن أدهم البلخي (ت ١٦٠ / ١٦١ هـ)، وإبراهيم البغدادي  
النقشبندی (ت ١١٦٠ هـ) له مثنوى من ٦٠٠ بيت وشرح كلمات شاه نعمه  
الله ولي، وأبوزيد البلخي (٣٢٢ هـ) له مؤلفات عديدة فى التصوف وعلم  
الكلام والتفسير والفلسفة وأبوسعيد بن أبى الخير فضل الله الميلى (ت ٤٤٠ هـ)  
الذى قامت بترجمة كتاب حفيده محمد بن منور (أسرار التوحيد فى مقامات  
الشيخ أبوسعيد) المرحومة الأستاذة الدكتورة اسعاد عبد الهادى قنديل.  
وعبد الله الأنصارى (ت ٤٨١ هـ) له ترجمة طبقات الصوفية للسلمى.. وكتب  
أخرى، وعبد الخالق الغجدوانى (ت ٦١٨ هـ) مربى ومرشد الشيخ بهاء الدين  
النقشبندى البخارى مؤسس الطريقة النقشبندية (ت ٧٩١ هـ)، وعزيز النسفى  
(ت ٦١٨ هـ) له منازل السائرين والمقصد الأقصى.. وكتب أخرى، وعلى  
رامتىنى البخارى (خواجة عزيزان (٣٣٢ هـ)، وعلاء الدين السمنانى  
(ت ٧٣٦ هـ) من كبار الصوفية وله آثار ما يقرب إلى ٣٠٠ مؤلف،  
وأحمد بن إبراهيم اليسوى (القرن ٤ هـ) له ديوان حكمت.. وأخرون كثيرون.

### ٢ - ومن المفسرين العظام:

أبو الليث السمرقندى (ت ٣٧٣ هـ) له تفسيره باللغة العربية وكتب  
أخرى فى الفقه وعلم الكلام والعلامة جار الله أبو القاسم الزمخشرى  
(ت ٥٣٨ هـ) له تفسيره الكشاف وكتب أخرى كثيرة، والشيخ شهاب الدين  
(٧٨٠) له عيون التفاسير كما له فى التصوف رسالة النجاة، والشيخ  
على السمرقندى (ت ٩٢٨ هـ) له بحر العلوم فى التفسير، والواعظ الكاشفى  
المهروى السيزوارى (ت ٩١٠ هـ) له تفسيره الفارسى (المواهب العلية)  
المعروف بتفسير الحسينى وأبومنصور محمد الماترىدى (أ) له تفسير الماترىدى  
وكتب أخرى فى الفقه، والحافظ أبو البركات عبد الله النسفى له مدارك

(١) للتفصيل راجع كتاب أضواء على تاريخ تركستان، تحقيق وإضافات نصر الله الطرازى.

(٢) (ماتريد) حسب قول صاحب طبقات الأمم ناحية بين سمرقند وبخارى.

التزليل فى التفسير كما له فى الفقه (الكنز) وكتب أخرى ، وأبو حفص عمر  
النسفى له فى التفسير (التزليل) .

### ٣ - من رجال الحديث : أمثال :

الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) إمام المذهب الحنبلى ولد فى بغداد ،  
أما والده من أهالى مرو بخوارزم والإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل  
البخارى (ت ٢٥٦هـ) له الجامع الصحيح (صحيح البخارى) . والإمام  
محمد بن عيس الترمذى (ت ٢٧٩هـ) له صحاح الترمذى وكتاب العلل ،  
والإمام إسماعيل بن مسلم الشكائى البخارى (ت ٣٢٢هـ) وأبو عبد الرحمن  
أحمد بن حنبل بن شبيب النسائى (ت ٣٠٣هـ) صاحب السنن الكبرى ،  
وأبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمى له جامع الصحيحين فى الحديث ، وأبو محمد  
عبد الله الدارمى (ت ٣٥٥هـ) له المسند فى الحديث ، وأبو بكر محمد القفال  
الشاشى (ت ٣٦٦هـ) من أئمة الفقه الشافعى ومحدث له كتابه المعروف بأدب  
القاضى .... وآخرون .

### ٤ - من علماء الكلام والفقه وطبقات الفقهاء والأنساب :

علاء الدين على بن التركمانى (ت ٧٥١هـ) له السعدية فى أصول  
الفقه وكتاب الضعفاء والكفاية مختصر الهداية فى الفقه ... وكتب أخرى ،  
وأبو زيد عبد الله بن عمر بن عيس الدبوسى (١) له كتاب الأسرار ، تقديم  
الأدلة وغيرهما ، وشمس الأئمة السرخسى (ت ٤٩٠هـ) له المبسوط فى  
١٥ مجلداً وأصول الفقه وغيرها ، وشيخ الإسلام رضى الدين السرخسى  
(ت ٦٧٦هـ) له كتاب الذخيرة ، المحيط ، والفتاوى الصغيرة ، ومجد الدين  
محمد السمرقندى له شرعة الإسلام ، وبرهان الدين المرغينانى (ت ٥٠٣هـ)  
له كتاب الهداية وكتب أخرى ، والسمعانى المروى (ت ٥٦٢هـ) له كتاب  
الأنساب .... وآخرون كثيرون .

(١) دبوس قرية بن بخارى وسمرقند .

## ٥ - علماء اللغة والأدب والبلاغة: أمثال:

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) له صحاح الجوهري وسراج الدين يوسف الخوارزمي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) له مفتاح العلوم فى الصرف والنحو والمعانى وآداب المناظرة والعروض، وأسحق بن إبراهيم الفارابي (خال الجوهري) (ت ٣٥٠هـ) له ديوان الأدب فى اللغة وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة، وحמיד الدين البلخي (القرن السادس) له مقامات حميدى (فارسي)، وناصر بن السيد بن على المطرزي الخوارزمي (ت ٦١٠هـ) من تلاميذ العلامة الزمخشري له كتاب الدستور، مرقاة الأدب، المغرب شرح مقامات الحريري وكتب أخرى ورشيد الدين محمد وطواط البلخي (ت ٥٨٧هـ) له آثار عربية وفارسية أهمها حدائق السحر فى دقائق الشعر (فارسي) وعيد من رسائل عربية.

## ٦ - كبار الفلاسفة والأطباء: أمثال:

أبو الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا، شيخ الرئيس (ت ٤٢٨هـ) ولد بأفشنة بالقرب من بخارى ومجموع آثاره فى حدود ٢٠٢ إلى ٢٤٠ كتاباً ورسالة، له كتابه القانون وكتاب الشفاء وكتاب الاشارات وكتاب الارصاد وكتب أخرى كثيرة كما له أشعار بالعربية والفارسية، وأبو بكر زين الدين بن إسماعيل الوراق الأزرقى المعروف بالحكيم (ت فى حدود ٤٦٥هـ) شاعر وفيلسوف وطبيب له فى الحكمة سندباد، وفى الطب الألفية والشلفية شاعر وفيلسوف وطبيب له فى الحكمة سندباد، وفى الطب الألفية والشلفية وأبو زيد البلخي من مشاهير الحكماء والأطباء، له الحد الأقصى والانباء من علل الدنيا، وبيان وجوه الحكمة، وأبو العباسى أحمد الطيب السرخسى (ت ٢٨٣هـ) له فى حدود خمسين أثراً، أشهر آثاره نزهة النفوس، المدخل إلى صناعة النجوم، كتاب النفس، كتاب المدخل إلى صناعة الطب وبدر الدين السمرقندى له كتاب الأقرباذين، وأبونصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرحان الفارابى - أكبر فلاسفة المسلمين (ت ٣٣٩هـ) أشهر بشروحه على مؤلفات أرسطو ولقب بالمعلم الثانى - له عديد من الكتب فى الفلسفة، كما له من الكتب الأصلية الخاصة به أمثال كتاب الآليات

ورسائل كثيرة، وعبد الرحمن الحسن القطان الروزى من مشاهير الحكماء والرياضيين، له الروضة فى الأنساب ورسائل فى الطب والهيئة.

### ٧ - علماء الهيئة والفلك: أمثال:

أبو ریحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى (ت ٤٤٠هـ) من أعلام الرياضيات وله الفضل فى انتشار المدنية الإسلامية بالهند ذلك لمرافقته السلطان محمود الغزنوى كان عالماً موسوعياً يقال أن له حوالى ١١٣ أثراً، وأهم آثاره الآثار الباقية عن القرون الخالية، مقاليد الهند، قانون الارشاد فى أحكام النجوم، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم.

وأبو معشر جعفر بن محمد البلخى (ت ٢٧٢هـ) يقال أن مؤلفاته أكثر من مائة منها كتاب القرانات، وكتاب المفصل الكبير وغيرها ويمكن أن نلاحظ فى آثاره المؤثرات التى أحدثتها وقتذاك فى العلوم العربية التيارات الوافدة من بلاد فارس والهند.

وأولغ بيك (ت ٨٦٢هـ) من أمراء ما وراء النهر ومن علماء النجوم، أنشأ مرصداً بسمرقند له زيغ مسمى بزيغ أولغ بيك تمت ترجمته إلى اللغات الأوربية، ومحمد بن محمد الجفمى مؤلف كتاب فى الهيئة المعروف باسمه شرحه سيد شريف وقاضى زاده الرومى.

ومحمد بن موسى الخوارزمى فى القرن الثالث الهجرى لاثارة قيمة كبيرة فى أوربا، له المختصر فى حساب الجبر والمقابلة، تمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية والانجليزية وقد قام بترجمة كثير من الكتب اليونانية فى عهد الخليفة المأمون ويعتبر أول عالم للجبر، وأحمد بن كثير الفرغانى من علماء الهيئة فى عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢١٧هـ) له أثره الخالد فى علم الهيئة تمت ترجمته إلى اللاتينية وهو الذى أنشأ المقياس الجديد للنيل فى مصر.

### ٨ - مشاهير الشعراء:

هناك مئات من الشعراء نظموا الشعر بالعربية والفارسية والتركية، وهم من أبناء تركستان ويطول ذكرهم هنا.. ولذلك نكتفى بالإشارة أولاً إلى ثلاثة شعراء كان لهم الفضل فى كتابة الشهنامات قبل الفردوسى

الطوسي. | وهم جميعاً من شعراء القرن الرابع الهجري وهم: أبوعلی محمد بن أحمد البلخي، وأبوالمؤيد البلخي، وأبومنصور محمد بن أحمد الدقيقي الذي تعرف شاهنامته بكشتاسب نامه، وقد أوردها الفردوسي الطوسي في شاهنامته كما هي. وأما الشعراء الذين لهم قصائد وغزليات ومثنويات ورباعيات فهم: أبوشكور البلخي (ق ٤هـ) له آفرين نامه، وأبوعلی المروزي له قصائد ورباعيات، وياخرزي البخاري (ق ٧هـ)، وبديع (البلخي) (ق ٤هـ) له پندنامه انوشيروان، وروحي اللوحي (ق ٦هـ) من ماوراء النهر له أشعار هزلية، والرودكي السمرقندي أبوالشعر الفارسي، وسوزني السمرقندي (ق ٦هـ)، وشاكر البخاري وشاهي السبزواري (ق ٩هـ)، والشاعر الحكيم شهيد البلخي (ق ٤هـ) كان له يد طولی في أنواع الشعر من معاصري رودكي وضياء الخجندی (ق ٧هـ)، وظهيرالدين الفارابي (ق ٦هـ)، وعباس المروزي (ق ٣/٢هـ) له قصيدة في مدح الخليفة المأمون قدمها بمناسبة زيارته مدينة مرو، وعمق البخاري (ق ٦هـ)، وهلالی الجغتائی (ق ١٠هـ) له عدة مثنويات.

أما عن شعراء الأدب الجغتائی يمكن أن نشير إلى أحمد اليسوي الشاعر المتصوف الكبير وشاهرخ وباينقرميرزا، والسلطان حسين بايقرا وهم حفدة تيمور حكما تركستان وازدهر العلم والفن في عهدهم.

والشاعر العظيم الوزير نظام الدين علي شيرنوايي (ت ٩١٦هـ) له ديوانه بالجغتائية. وكتب أخرى، ومظفرالدين بابر مؤسس الدولة التيمورية في الهند له ديوانه ومثنويه المسمى بمتين وكتابه المنثور عن ذكرياته المسمى بابرنامه، ووصفي الله يار وديوانه مشرب من شعراء الصوفية في فرغانة.

أما عن الشاعرات نذكر اجمالاً أسماء عائشة السمرقندية، وعظمت السمرقندية ومهري ونورجهان وعصمتي ودختر كاشغري.

٩ - أما عن المؤرخين وعلماء الجغرافيا وأصحاب تذاكر الشعراء: نذكر باختصار اسماء أبوغازي بهادر خان حاكم خيوة والمؤرخ الجغتائي (ق ١١هـ)، ومير عبدالكريم البخاري له تاريخ آسيا الوسطى ترجمة

المستشرق الفرنسي شيفر ونشره سنة ١٨٧٦م، ومحمد البلخي صاحب أقاليم البلدان، والإمام محمد بن إسماعيل البخارى له ثلاثة تواريخ: التاريخ الكبير والتاريخ الأوسط والتاريخ الأصغر، وأبوسلمان فخرالدين بناكتى (من ما وراء النهر) مؤرخ المغول، وأبوريجان البيرونى له أحوال الهند، وحافظ ابروالمهروى له زبدة التواريخ وخواند مير (ت ٩٤١هـ) له خلاصة الأخبار تلخيص روضة الصفا وحبيب السير ومير خوند (ت ٩٠٣هـ) له روضة الصفا فى ستة مجلدات، وأبوبكر النرشخى (ت ٣٤٧هـ) له تاريخ بخارى نشره شيفر ومدرس رضوى وترجم إلى العربية ولغات أوروبية، ونجم الدين الراوندى (ق ٦هـ) له راحة الصدور وكمال الدين السمرقندى له مطلع السعدين فى مجلدين، والسمعانى المروى (ت ٥٦٢هـ) له كتاب الأنساب وتاريخ مرو، ودولت شاه السمرقندى له تذكرة الشعراء، والوعفى البخارى له لباب الأبواب، ومحمد الفرغانى له ذيل تاريخ الطبرى، وحسين الواعظ الكاشفى (ت ٩٣٩هـ) له روضة الشهداء، ونورالدين محمد النسوى له تاريخ جلالى ألفه (٦٣٩هـ)، ونظام الدين الهروى له تاريخ تيمور، وأبوالروح عيسى الهروى له تاريخ هراة وآخرون كثيرون... ونضيف هنا تزك تيمورى لتيهور لنك وتزك بابرى أو بابر نامه لمظفرالدين بابر ومجالس النفائس للوزير نظام الدين على شيرنواشى

وهكذا استمر الترك فى تركستان فى خدمة الإسلام ونشر تراثه المجيد، إلا أنهم لأسباب عديدة يطول ذكرها وقعوا فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى تحت نفوذ الروس القيصرى وكانت تحكم تركستان ثلاث امارات إسلامية مستقلة وهى امارة فرغانة وامارة بخارى وامارة خيوة. وكانت طشقند وسمرقند وبخارى ومرو مراكز اشعاع للثقافة والحضارة الإسلاميتين، وقسم الاستعماران الروسى والصينى تركستان بينها كما بينا آنفاً. اما بعد الثورة البلشفية وفى سنة ١٩١٨ غزت الجنود الروس الشيوعيون تركستان الغربية واستولت على اماراتها واحدة تلو أخرى وبلت تركستان وفيها قبة الإسلام بخارى بنكبة عظمى يقول العلامة المجاهد وداعية الإسلام أبوالنصر مبشر الطرازى رضى الله تعالى عنه وأرضاه فى قصيدة تركية له عن أسباب هذه النكبة ما يلى:

يقول العلامة فى سبب أنشادها: «قصيدة بشأن وطنى تركستان المنكوبة  
أنشأتها باللغة التركية حينما دخلت مهاجراً إلى الله ورسوله بلدة «اندخوى»  
من حدود افغانستان فى ذى القعدة سنة ١٣٤٨ هـ ورأيت فيها حكومة  
إسلامية فى ظل ملكها محمد نادر شاه وشعباً يعيش عيشاً سعيداً هادئاً  
متمتعاً باستقلال بلاده، ففكرت تفكيراً عميقاً فيما يعيش فيه الشعب  
التركستانى المسلم من الضعف والذل تحت نير الاستعمار الروسى  
الامبراطورى ثم الشيوعى بعد زوال حكومته الإسلامية، فأنشأت هذه  
القصيدة، وقد ذكرت أسباب نكبة تركستان ومصائب شعبها المؤمن، مما فيه  
نصيحة وذكرى للمسلمين - قلت:

إن الضعف والانهيار اللذين أصابا الأمة الآن

سببها مرض قلوب المسؤولين عن شؤونها .

وقلب نظام الحكم فى ساحة الوطن

سببه الظلم والجور اللذين ارتكبهما حكامنا

إن ضياع أمتنا ومحو وزوال أجدادنا

نتيجة لما فى ذات أنفسنا من بغى وفساد وفتنة (١)

وما ضاعت نعمتنا وراحتنا

إلا لعظيم كفرنا وعدم شكرنا (٢)

إن عجز هؤلاء المسلمين السذج وتخلفهم

وبؤسهم وفقرهم .. يعود لسوء حظهم

إن سبب تأوهات الأراامل والعجائز من النساء

هو من خلل أصاب الغيرة فى قلوب رجال الوطن (٣)

أما نقشى النعمة والجور والظلم بين القوم

فن غفلة المواطن وسوء عمله .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: «ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم

بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون» .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد» .

(٣) لأنهم لم يؤدوا فريضة الجهاد على أم وجهه وأكمله .

وما حلت أنواع العذاب على كل طائفة  
إلا لما ارتكبتها من معصية وما اقترفته أيديها .  
إن ضياع أملاك أصحاب الملك من حدائق وبساتين  
لمن الضرر الذى لحقوه بالضعفاء والمساكين  
وضياع أموال الأغنياء وثرانهم  
لهو بسبب عدم تأديتهم الزكاة وكبرهم وغرورهم  
أما حصر التجار وقيدهم بتأميم أموالهم ومصادرتها  
فنتيجة للغبن والخيانة اللذين ارتكبوها .  
إن سجل الجهل الذى أخذه المستفتون  
لمن الأقلام السيئة الماجنة للمفتين  
وحرمان الطالب من الاستفادة من علم القال (١)  
سببه الطموح المعوجة لأستاذٍ عديم الحال (٢)  
أما حرمان السالك من أنوار الصفاء  
فسببه ابتلاء قلب المرشد بالكدر والأهواء  
وانتصار العدو فى ساحة الوغى  
من ضعف عقيدة المجاهدين وضياع آمالهم  
وهذه القوة والقدرة التى وجدها المستعمر فى نفسه  
مردها ضعف عزم الأمة وكسلها .  
إن اصفرار الحدود الوردية لشجعان هذا الوطن  
مردّه تردد القائد وعدم حسمه الأمور بالعقل  
وما لحق بالوطن وشؤنه من إهمال  
سببه سوء أغراض سادته المسئولين .  
إن الهزيمة التى لحقت بالطرازى وهو متحدث يتقن الكلام  
سببها مكر الدهريين وتضليلهم الشعب فى تلك الساحة  
أما هجرته وترك دياره فجأة

(١) أى العلوم النقلية والعقلية .

(٢) عديم الخلق الكريمة .

لهى من لهيب وجدانه وتمسكه بالدين .

لقد طال الأسر وحكم الظلم فى الوطن

فهل له منجاة من همه هذا؟

ألا تنجو الأمة المظلومة المعذبة

بدموع الأبرياء من المعصوين التى تنساب من العيون؟

لا ، لا يجنح بك الخيال يا نور عيني وسيدى

أنظر إلى محنتك وابحث عن أسبابها الأساسية ثم حلها! ...

### نص القصيدة بالتركية

ملتدة بودم واقع اولان ضعف وتنزل

اصحاب شئوننده كى قلبى مرضندن

يا خود وطنك ساحه سنده قلب حكومت

حكا ممزك ايتديكى ظلم وستمندن

مليتمز، عنعنه مز محورزوالى

اوزنفسمرك بغى وفساد وفتنندن (١)

نعمتليميز، راحتمز گيتديكى باده

كفرا نمرك چوقليغى، شكرك عندمنندن (٢)

اول ساده مسلمان همه مسكين وفقيرك

بيجاره لكم، مانده لكم، بخت بدنندن

معصوم اولان اطفالمرك داد وفغانى

راعى اولن اربا بنى قسوتلى دلندن

آه اورديغى اول بيوه زن وپيره زنانى

مردان وطن قلبينده غيرت خللندن (٣)

(١) «ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم

يرجعون» آيته اشارتدر.

(٢) «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد».

(٣) فريضة جهادى - كما هى المطلوب - كاملاً تاديبه ايده مدبلر.

قوم ایچره اولان نقیمت و بیداد و مظالم  
 افرادی نك اول غفلت و سوء عملندن  
 هر طائفة نك دو شدیكى انواع عذابه  
 كندی عمل و معصیت و كسب یدندن  
 بر صاحبی نك ضائعه باغ ایله راغی (۱)  
 بیچاره لره یا پدیغی شاید ضررندن  
 بای (۲) توده لرك گیتدیكى اموال و غناسی  
 فرضك عدم تأدیه سی (۳)، كبر سرنندن  
 تاجر لری اول قالدیغی محصور و مقید  
 ممكن كه قیلان غبن و خیانت اثرندن  
 مستفتی لرك آلدیغی اول سجل جهالت  
 مفتی لرك (۴) اول ماجن اولان بد قلمندن  
 بی بهره لكی طالب قالك طلبنده  
 بی حال اولان استاذك اول آمال كچندن  
 معروف اولوشی سالكك أنوار صفادن  
 مرشد لرك اول زنگ هوا، مكدرتندن  
 غالب گلیشی دشمنك میدان و غاده  
 غازی لرك اول ضعف عقیده و املندن  
 مستعمرك اول بولدیغی بوقوت و شوكت  
 ملتده اولان سستی عزم و كسلندن  
 صرغایدیغی گل یوز لری شیران و وطنك  
 قائد اولانك ذذبیه و عقل كمنندن  
 اهماله بوگون اوغرا دیغی شان وطن نك  
 مسئول اولان اربا بنی سوء غرضندن

(۱) یر، صو و املا کلری . . . (۲) زنگین .

(۳) فریضه زکات و عشر و صدقاتده قصور لرندن .

(۴) ملت ضلالتنه سبب اولان علماء سوء .

مغلوبيت، متقن نطاق، طرازي

دهريلرك اول صحنه ده دورو دغندند

هجرت ايديشى ملكيدن اول طرفه مهاجر

وجدان وديا ننده بوقيزغين عصبندن

چوق قالدى وطن ظلم واسارت اوزرنده

آيا وطنك وارمى نجاتى بوغمندن؟

اولزىمى رها ملت مظلوم ومعذب

معصوم وگنه سز اولانك چشم غندن؟

خاير، بويله خيال ايتمه گوزم نورى افندم

باق محنتكه چاره اساسى سبندن!! (١)

\* \* \*

وختاماً لبحثنا لا يفوتنا أن نذكر المخطط الروسى الذى يكمن وراء وصايا

قيصر روسيا بطرس الأكبر.

### المادة الأولى:

من الضرورى أن تعاد العساكر على الحرب والقتال دائماً. وينبغى على الأمة الروسية أن تكون على أهبة الاستعداد فى حالة حرب لكى تكون أليفة الوغى. ويترك وقت لراحة العساكر من أجل إصلاح الشؤون المالية، مع تنظيم العساكر باستمرار لاقتناص الوقت المناسب للهجوم فى حينه. وعلى هذه الصورة ينبغى على روسيا أن تستفيد من وقت الصلح والأمان فى زيادة قوتها وتوسيع مجال منافعها، فتتخذ من الحرب وسيلة للصلح.

### المادة الثانية:

ينبغى اتخاذ جميع الوسائل الممكنة فى وقت الحرب للاستعانة بضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر تقدماً فى أوربا. كما ينبغى

(١) العلامة أبو النصر مشر الطرازي: أزهار حديقة الحياة «ديوان مخطوط».

اتباع نفس الأسلوب فى وقت السلم بإحضار أرباب العلم والمعرفة منهم أيضاً. ومن الضرورى الاهتمام بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من مميزات سائر الممالك لتحسين الأوضاع بها.

#### المادة الثالثة:

ينبغى التدخل فى مجريات الأمور والأوضاع فى أوربا كلها أتيحت الفرصة. كما ينبغى التدخل فى الخلافات والمنازعات الجارية بها، وخاصة ما يجرى فى ألمانيا القريبة منا للاستفادة من ذلك مباشرة.

#### المادة الرابعة:

ينبغى استعمال الرشوة لإلقاء الفتنة والفساد وإثارة الاضطرابات الداخلية فى بولونيا، واستمالة أعيانها عن طريق تقديم الأموال لهم. والعمل على السيطرة على مجلس الحكومة حتى يمكن التدخل فى انتخاب الملك. وبعد حصول من هو من أنصار روسيا على الملك، ينبغى دخول عساكر روسيا إلى بولونيا بحجة حمايتها، مع الاهتمام بإقامة العساكر هناك فترة طويلة. وإذا حدث تنافس من دولة مجاورة، فالواجب يقتضى تقسيم النفوذ حرصاً على إخماد نار الفتن والقتل والقلاقل مؤقتاً، وتحين الفرصة لاسترجاع النفوذ لروسيا كاملاً.

#### المادة الخامسة:

ينبغى الاستيلاء على بعض مناطق السويد بقدر الإمكان. ثم نسعى بعد ذلك لاغتنام الفرصة للاستيلاء على الباقي. ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق استفزاز السويد لمهاجمة روسيا. وعلينا أن نزرع بذور الفتنة والفساد والخلاف بين السويد والدانمرك على الدوام لتحقيق الفرقة بينهما.

#### المادة السادسة:

يجب على أسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوج أفرادها من بنات العائلة الملكية الألمانية لتقوية الروابط مع ألمانيا، تمهيداً لزيادة النفوذ فيها واستغلال ذلك لمصلحة روسيا.

### المادة السابعة :

تعتبر انجلترا أكثر الدول احتياجاً إلينا فى الأمور البحرية ، ولهذا الدولة أيضاً نفع كبير فى زيادة قوتنا البحرية . ومن الضرورى الاتفاق معها فى أمور التجارة وتفضيلها فى ذلك على سائر الدول . ويبيع إنتاج بلادنا من الأخشاب وسائر الأشياء إلى انجلترا ، وشراء الذهب منها . وينبغى تقوية الروابط التجارية بين البلدين لترويج التجارة والملاحة البحرية فى بلادنا .

### المادة الثامنة :

على الروس أن ينتشروا شمالاً على سواحل بحر البلطيق وجنوباً على سواحل البحر الأسود يوماً فيوماً .

### المادة التاسعة :

ينبغى الاقتراب بقدر الإمكان من استانبول والهند . ولأن من يحكم استانبول يستطيع أن يحكم العالم بأسره ، فلذلك ينبغى إعلان الحرب باستمرار على الدولة العثمانية تارة وعلى إيران تارة أخرى . ومن الضرورى السيطرة على البحر الأسود شيئاً فشيئاً ، لإنشاء دار للصناعات البحرية عليه ، والاستيلاء على بحر البلطيق أيضاً لأنه من أزم الضروريات للوصول إلى المقصود . وينبغى العمل بسرعة على إضعاف إيران بل زوالها من الوجود ، لكى يسهل علينا الوصول إلى خليج البصرة . ومن الممكن إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشام ، للوصول إلى بلاد الهند التى تعتبر بمثابة مخزن للعالم ، وبهذا نستغنى عن ذهب انجلترا .

### المادة العاشرة :

ينبغى العمل على عقد اتفاقيات صداقة واتحاد مع النمسا ، وتشجيعها على التدخل فى ألمانيا وعلى زيادة نفوذها فيها فى الظاهر . أما فى الباطن فالواجب يقتضى منا أن نزرع بذور الشك والعداوة بين النمسا وألمانيا ، لدفع كل منها لطلب العون والمدد من روسيا ، حتى يمكن التغلب عليهما فى المستقبل .

